۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

شـــرح الكلمـات :

الملائكة	: أجسام نورانية يعمرون السموات عباد مكرمون لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.
المـــوتى	: جمع ميت: من فارقته الحياة أي خرجت منه روحه.
حشـــرنا	: جمعنا.
قبـــلا	: معاينة
يجهلون	: عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته.
شياطين	: جمع شيطان: وهو من خبث وتمرد من الجن والإنس.
يوحي بعضهم	: يعلم بطريق سريع خفي بعضهم بعضاً.
زخرف القول	: الكذب المحسن والمزين.
غروراً	: للتغرير بالإنسان.
يفترون	: يكذبون.
ولتصغى إليه	: تميل إليه.
وليقترفوا	: وليرتكبوا الذنوب والمعاصي.

معنى الآيات :

مازال السياق في أولئك العادلين بربهم المطالبين بالآيات الكونية ليؤمنوا إذا شاهدوها فأخبر تعالى في هذه الآيات أنه لو نزل إليهم الملائكة من[1] السماء، وأحيى لهم الموتى فكلموهم وقالوا لهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحشر عليهم كل شيء[2] أمامهم يعاينونه معاينة أو تأتيهم المخلوقات قبيلاً بعد قبيل وهم يشاهدونهم ويقولوا لا[3] إله إلا الله محمد رسول الله، ما كانوا ليؤمنوا بك ويصدقوك ويؤمنوا بما جئت به إلا أن يشاء الله ذلك منهم. ولكن أكثر أولئك العادلين بربهم الأصنام والأوثان يجهلون أن الهداية بيد الله تعالى وليست بأيديهم كما يزعمون وأنهم لو رأوا الآيات آمنوا.

هذا مادلت عليه الآية (١١١) أما الآية الثانية (١١٢) فإن الله تعالى يقول وكما كان لك يارسولنا من هؤلاء العادلين أعداء يجادلونك ويحاربونك جعلنا لكل نبي أرسلناه أعداء يجادلونه ويحاربونه﴿شياطين[4] الإنس والجن يوحي[5] بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾ أي القول المزين بالباطل المحسن بالكذب ﴿غرورا﴾ أي للتغرير والتضليل، ﴿ولو شاء ربك﴾ أيها الرسول عدم فعل ذلك الإيحاء والوسواس ﴿مافعلوه﴾ إذاً ﴿فذرهم﴾ أي اتركهم ﴿ومايفترون﴾ من الكفر والكذب والباطل.

هذا مادلت عليه الآية الثانية أما الآية الثالثة (١١٣) وهي قوله تعالى: ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون﴾ هذه الآية بجملها الأربع معطوفة على قوله ﴿زخرف القول غروراً﴾ إذ إيحاء شياطين الجن والإنس[6] كان

---

(١) فرأوهم عياناً.
(٢) أي شيئاً سألوه وطلبوه.
(٣) الاستثناء منفصل فهو بمعنى لكن إن شاء الله إيمانهم آمنوا والآية تحمل التسلية والعزاء له ﷺ.
(٤) شياطين الإنس والجن بدل من قوله عدوًا ويصح أن يكون نعتاً أيضاً.
(٥) يوحي بمعنى يلقى إليه الباطل المزين بطريق الوسواس فيفهم عنه إذ الإيحاء الإعلام السريع الخفي وشاهده من السنة قوله ﷺ «ما منكم من احد إلاّ قد وكل به قرينه من الجن، قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلاّ أن الله أعانني عليه فأسلم».
(٦) روي عن مالك بن دينار أنه قال: شياطين الإنس أشد من شياطين الجن، وذلك اني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً. ويشهد لهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع امرأة تنشد:

إن النساء رياحين خلقن لكم   وكلكم يشتهي شم الرياحين

فأجابها عمر رضي الله عنه قائلا:

إن النساء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

للغـرور أي ليغـتر به المشركـون، ﴿ ولتصغى إليه ﴾ أي تميل ﴿أفئـدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ وهم المشركون العادلون بربهم ﴿ وليرضوه ﴾ ويقتنعوا به لأنه مموه لهم مزين، ونتيجة لذلك التغرير والميل إليه وهو باطل والرضا به والاقناع بفائدته فهم يقترفون من أنواع الكفر وضروب الشرك والمعاصي والإجرام ما يقترفون!.

هـداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أبداً، وبهذا تقررت ربوبيته وألوهيته للأولين والآخرين.

٢ ـ تسلية الرسول ﷺ وكل داع إلى الله تعالى بإعلامه أنه مامن نبي ولا داع إلا وله أعداء من الجن والإنس يحاربونه حتى ينصره الله عليهم

٣ ـ التحذير من التمويه والتغرير فإن أمضى سلاح للشياطين هو التزيين والتغرير.

٤ ـ القلوب الفارغة من الإيمان بالله ووعده وعيده في الدار الآخرة أكثر القلوب ميلاً إلى الباطل والشر والفساد .

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

شـــرح الكلمـات :

أبتغي : أطلب.
حكمـــاً : الحكم الحاكم ومن يتحاكم إليه الناس.
أنزل إليكم الكتاب : أي أنزله لأجلكم لتهتدوا به فتكْمُلُوا عليه وتسعدوا.
مفصـــلاً : مبيناً لا خفاء فيه ولا غموض.
والذين آتيناهم الكتاب : أي علماء اليهود والنصارى.
الممـــترين : الشاكين، إذ الامتراء الشك.
صدقاً وعـــدلاً : صدقاً في الأخبار فكل ما أخبر به القرآن هو صدق، وعدلاً في الأحكام فليس في القرآن حكم جور وظلم أبداً بل كل أحكامه عادلة.
لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لها لا بالزيادة والنقصان، ولا بالتقديم والتأخير.
السميع العليم : السميع لأقوال العباد العليم بأعمالهم ونياتهم وسيجزيهم بذلك.
سبيل الله : الإسلام إذ هو المفضي بالمسلم إلى رضوان الله تعالى والكرامة في جواره.
يخرصون : يكذبون الكذب الناتج عن الحزر والتخمين
من يضل : بمن يضل.
بالمهتدين : في سيرهم إلى رضوان الله باتباع الإسلام الذي هو سبيل الله.

معنى الآيـات :

مازال السياق مع العادلين بربهم الأصنام والأوثان لقد كان المراد في طلبهم الآية الحكم بها على صحة دعوة النبي ﷺ أنه نبي الله وأن القرآن كلام الله وأنه لا إله إلا الله، ولم يكن هذا منهم إلا من قبيل ماتوسوس به الشياطين لهم وتزينه لهم تغريراً بهم وليواصلوا ذنوبهم فلا يؤمنون ولا يتوبون، ومن هنا أنزل تعالى قوله: ﴿ أفغير الله أبتغي[1] حكمًا ﴾. وهو تعليم لرسول الله ﷺ أن يقوله للمشركين أأميل إلى باطلكم وأقتنع به فغير الله أطلب حكمًا بيني

(١) أفغير منصوب بأبتغي أي آبتغي غير الله؟ وكلما منصوب على الحال أو التمييز المبين لمبهم الابتغاء.

وبينكم في دعواكم أني غير رسول وأن ماجئت به ليس وحياً من الله؟ ينكر ﷺ تحكيم غير ربه تعالى وعلى ماذا يكون الحكم والله هو الذي أنزل إليهم الكتاب مفصلاً فأي آية تغلب القرآن وهو آلاف الآيات هذا أولاً وثانياً أهل الكتاب من قبلهم وهم علماء اليهود والنصارى مقرون ومعترفون بأن ماينفيه المشركون هو حق لا مرية فيه إذاً فامض أيها الرسول في طريق دعوتك ولا تكونن من الممترين فإنك عما قريب تظهر على المشركين، لقد تمت كلمة[1] ربك أي في هذا القرآن الذي أوحي إليك صدقاً في كل ماتحمله من أخبار ومن ذلك نصرك وهزيمة أعدائك. وعدلاً في أحكامها التي تحملها، ولا يستطيع أحد تبديلها[2] بتغيير لها بإخلاف وعدٍ ولا بإبطال حكم، وربك هو السميع لأقوال عباده العليم بمقاصدهم وأفعالهم فما أقدره وأضعفهم فلذا لن يكون إلا مراده ويبطل جميع إراداتهم. واعلم يارسولنا أنك ﴿إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ أي لو أنك تسمع لهم وتأخذ بآرائهم وتستجيب لاقتراحاتهم لأضلوك قطعاً عن سبيل الله، والعلة أن أكثرهم لا بصيرة له ولا علم حق لديه وكل مايقولونه هو هوى نفس، ووسواس شيطان. إنهم مايتبعون إلا أقوال الظن وماهم فيما يقولون إلا خارصون[3] كاذبون. وحسبك علم ربك بهم فإنه تعالى هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - حرمة وبطلان التحاكم إلى غير الوحي الإلهي.

٢ - تقرير صحة الدعوة الإسلامية بأمرين الأول: القرآن الكريم، الثاني: شهادة أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام القرظي وأصحمة النجاشي وغيرهم.

٣ - ميزة القرآن الكريم: أن أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.

٤ - وعود الله تعالى لا تتخلف أبداً، ولا تتبدل بتقديم ولا تأخير.

٥ - اتباع أكثر الناس يؤدي إلى الضلال فلذا لا يتبع إلا أهل العلم الراسخون فيه لقوله

---

(١) قرأ أهل الكوفة كلمة بالإفراد وقرأها الباقون بالجمع كلمات قال ابن عباس رضي الله عنه في كلمات ربك هي مواعيده تعالى.

(٢) كما لا يستطيع أحد تبديل كلماتها وحروفها في القرآن الكريم كما بدلت التوراه والإنجيل بتحريف الكلمات وتغييرها.

(٣) من هذا قيل لمن يقدر كمية التمر في النخل خراص لأنه يقول بدون علم يقيني- وإنما بالحدس والتخمين واجازه الشارع للضرورة إليه.

تعالى: ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾.

فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

شـرح الكلمـات :

مما ذكر اسم الله عليه : أي قيل عند ذبحه أو نحره بسم الله والله أكبر.

فصل لكم ما حرم عليكم : أي بين لكم ماحرم عليكم مما أحل لكم وذلك في سورة النحل.

إلا ما ضطررتم إليه : أي ألجأتكم الضرورة وهي خوف الضرر من الجوع.

المعتدين : المتجاوزين الحلال إلى الحرام، والحق إلى الباطل.

ذروا ظاهر الإثم : اتركوا: الإثم الظاهر والباطن وهو كل ضار فاسد قبيح.

يقترفون : يكسبون الآثام والذنوب.

وإنه لفسق : أي الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه. فسق عن طاعة الله تعالى.

إلى أوليائهم ليجادلوكم : أي من الإنس ليخاصموكم في ترك الأكل من الميتة.

لمشركون : حيث أحلوا لكم ما حرم عليكم فاعتقدتم حله فكنتم

بذلك عابديهم وعبادة غير الله تعالى شرك.

معنى الآيات:

مما أوحى به شياطين الجن إلى إخوانهم من شياطين الإنس أن قالوا للرسول ﷺ والمؤمنين: كيف تأكلون ماتقتلونه أنتم وتمتنعون عن أكل مايقتله الله؟ فأنزل الله تعالى قوله ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾[1]. فأمر المؤمنين بعدم الاستجابة لما يقوله المشركون، وقال ﴿ وَمالكم[2] ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ أي: أي شيء يمنعكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه؟ ﴿ وقد فصّل[3] لكم ﴾ أي بين لكم غاية التبيين ﴿ ما حرمه عليكم ﴾ من المطاعم ﴿ إلا ما ضطررتم إليه ﴾ أي ألجأتكم الضرورة إليه كمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يأكل مما حرم في حال الإختيار. ثم أعلمهم أن كثيراً من الناس يضلون غيرهم بأهوائهم[4] بغير علم فيحلون ويحرمون بدون علم وهم في ذلك ظلمة معتدون لأن التحريم والتحليل من حق الرب تعالى لا من حق أي أحد من الناس وتوعدهم بما دل عليه قوله: ﴿ إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ ولازمه أنه سيجازيهم باعتدائهم وظلمهم بما يستحقون من العذاب على اعتدائهم على حق الله تعالى في التشريع بالتحليل والتحريم.

وقوله تعالى في الآية الثالثة: (١٢٠) ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ يأمر تعالى عباده بترك ظاهر الإثم كالزنى العلني وسائر المعاصي، وباطن الإثم كالزنى السري وسائر الذنوب الخفية وهو شامل لأعمال القلوب وهي باطنة وأعمال الجوارح وهي ظاهرة، لأن الإثم كل ضار فاسد قبيح كالشرك، والزنى وغيرهما من سائر المحرمات.

ثم توعد الذين لايمتثلون أمره تعالى بترك ظاهر الإثم وباطنه بقوله: ﴿ إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ أي سيجزيهم يوم القيامة بما اكتسبوه من الذنوب والآثام ولا ينجو إلا من تاب منهم وصحت توبته وفي الآية الأخيرة في هذا السياق (١٢١) يقول تعالى ناهياً عباده عن الأكل مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من ذبائح المشركين

---

(١) هذه الآية نص في مشروعية التسمية عند الذبح وعند الأكل والشرب.
(٢) أي ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه ربكم وإن قتلتموه بأيديكم؟
(٣) بين تعالى ذلك في آخر سورة النحل المكية وأما البيان التام فهو في سورة المائدة المتأخرة في النزول عن النحل والأنعام معاً.
(٤) إذ قال المشركون للرسول والمؤمنين ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم.

والمجوس فقال: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾[1] [2] وأخبر أن الأكل مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه وهو ذبائح المشركين والمجوس فسق خروج عن طاعة الرب تعالى وهو مقتضٍ للكفر لما فيه من الرضا بذكر اسم الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى، ثم أخبرهم تعالى بأن الشياطين وهم المردة من الجن يوحون إلى الأخباث من الإنس من أوليائهم الذين استجابوا لهم في عبادة الأوثان يوحون إليهم بمثل قولهم: كيف تحرمون ما قتل الله وتحلون ما قتلتم أنتم؟ ليجادلوكم بذلك، ويحذر تعالى المؤمنين من طاعتهم وقبول وسواسهم فيقول ﴿وإن أطعتموهم﴾ فأكلتم ذبائحهم أو تركتم أكل ما ذبحتم أنتم وقد ذكرتم عليه اسم الله، ﴿إنكم لمشركون﴾[3] لأنكم استجبتم لما تأمر به الشياطين تاركين ما يأمر به رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - حِلُّ الأكل من ذبائح المسلمين.

٢ - وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند تذكيتها.

٣ - حرمة اتباع الأهواء ووجوب اتباع العلماء.

٤ - وجوب ترك الإثم ظاهراً كان أو باطناً وسواء كان من أعمال القلوب أو أعمال الجوارح.

٥ - حرمة الأكل من ذبائح المشركين والمجوس والملاحدة البلاشفة الشيوعيين.

٦ - اعتقاد حل طاعة الشياطين شرك والعياذ بالله تعالى.

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي
ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ

---

(١) روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ قال: خاصمهم المشركون فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله سبحانه ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾.

(٢) إن هذا اللفظ الوارد على سبب معين لا يمنع العموم إذ القاعدة الأصولية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن هنا تعين معرفة ما يلي: أولا: وجوب التسمية عند الذبح والنحر. ثانيا: إن ترك المسلم التسمية سهواً أكلت ذبيحته، ثالثا: إن تركها عمدا لم تؤكل ذبيحته، رابعاً: قال بعض الفقهاء ترك المسلم التسمية عمداً لا يحرم ذبيحته إلاّ أن يكون تركها مستخفاً بها.

(٣) الآية دليل على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً وقد حرّم الله سبحانه الميتة نصاً فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك. وقال ابن العربي إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً - إذا أطاعه في الاعتقاد. أما إن أطاعه في الفعل وعقيدته سليمة مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص غير كافر.

زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات :

ميتاً : الميت فاقد الروح، والمراد روح الإيمان .

أحييناه : جعلناه حياً بروح الإيمان .

مثله : صفته ونعته امرؤ في الظلمات ليس بخارج منها .

قرية : مدينة كبيرة .

ليمكروا فيها : بفعل المنكرات والدعوة إلى ارتكابها بأسلوب الخديعة والاحتيال .

ومايمكرون إلا بأنفسهم : لأن عاقبة المكر تعود على الماكز نفسه لآية ﴿ ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ﴾ .

وإذا جاءتهم آية : أي من القرآن الكريم تدعوهم إلى الحق .

صغار : الصغار: الذل والهوان .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في حرب العادلين بربهم الأصنام الذين يزين لهم الشيطان تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم فقال تعالى: ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ أي أطاعة هذا العبد الذي كان ميتاً بالشرك والكفر فأحييناه بالإيمان والتوحيد وهو عمر بن الخطاب أو عمار بن ياسر كطاعة من مثله رجل في الظلمات ظلمات الشرك

والكفر والمعاصي ليس بخارج من تلك الظلمات وهو أبو جهل[1] والجواب لا ، إذاً كيف أطاع المشركون أبا جهل وعصوا عمر رضى الله عنه والجواب : أن الكافرين لظلمة نفوسهم واتباع أهوائهم لا عقول لهم زُين لهم عملهم الباطل حسب سنة الله تعالى في أن من أحب شيئاً وغالى في حبه على غير هدى ولا بصيرة يصبح في نظره زيْناً وهو شيْن وحسناً وهو قبيح ، فلذا قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها[2] ليمكروا فيها ﴾ فيهلكوا أيضا . وقوله : ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ هو كما قال : قوله الحق وله الملك ، فالماكر من أكابر المجرمين حيث أفسدوا عقائد الناس وأخلاقهم وصرفوهم عن الهدى بزخرف القول والاحتيال والخداع ، هم في الواقع يمكرون بأنفسهم إذ سوف تحل بهم العقوبة في الدنيا وفي الآخرة ، إذ لا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولكنهم لا يشعرون أي لا يدرون[3] ولا يعلمون أنهم يمكرون بأنفسهم ، وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٢٤) ﴿ وإذا جاءتهم[4] آية . . ﴾ أي حجة عقلية مما تحمله آيات القرآن تدعوهم إلى تصديق الرسول والإيمان بما جاء به ويدعو إليه من التوحيد بدل أن يؤمنوا ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى[5] مثل ما أوتي رسل الله﴾ أي من المعجزات كعصا موسى وطير عيسى الذي نفخ فيه فكان طائراً بإذن الله فرد الله تعالى عليهم هذا العلو والتكبر قائلاً : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ فإنه يجعلها في القلوب المشرقة والنفوس الزكية ، لا في القلوب المظلمة والنفوس الخبيثة ، وقوله تعالى ﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ على أنفسهم بالشرك والمعاصي وعلى غيرهم حيث أفسدوا قلوبهم وعقولهم ، ﴿صغار[6]﴾ : أي ذل وهوان ﴿عند الله﴾ يوم يلقونه ﴿وعذاب شديد﴾ قاس لا يطاق ﴿بما كانوا يمكرون﴾ : أي بالناس بتضليلهم وإفساد قلوبهم وعقولهم بالشرك والمعاصي التي كانوا

---

(١) الآية عامة في كل كافر ومؤمن والموت قد يطلق أيضاً على الجهل . فالجاهل ميت وحياته بالعلم كما قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرؤاً لم يحيى بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

(٢) في الآية تقديم وتأخير . الأصل جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها والأكابر جمع أكبر وهم الرؤساء والعظماء وخصوا بالذكر لأنهم أقدر على الفساد والإفساد من عامة الناس .

(٣) وذلك لفرط جهلهم لا يعلمون أن وبال مكرهم عائد عليهم .

(٤) في الآية شيء من بيان جهلهم وعملهم .

(٥) هذه مقالة بعضهم قال الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ : لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر سناً وأكثر منك مالاً . وقال أبو جهل : والله لا نرضى به أبداً ولا نتبعه إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه .

(٦) الصغار من الصغر ضد الكبر كان الذل يُصغر إلى المرء نفسَه والفعل صغر يصغر . من باب نَصر ، وصغِر يصغر من باب علم يعلم . والمصدر الصغر بفتح الصاد والغين معا والصغار الاسم واسم الفاعل صاغر وهو الراضي بالضيم .

يجرئونهم عليها ويغرونهم بها.

هـداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ الإيمان حياة، والكفر موت، المؤمن يعيش في نور والكافر في ظلمات.

٢ ـ بيان سنة الله تعالى في تزيين الأعمال القبيحة.

٣ ـ قل ماتخلو مدينة من مجرمين يمكرون فيها.

٤ ـ عاقبة المكر عائدة على الماكر نفسه.

٥ ـ بيان تعنت المشركين في مكة على عهد نزول القرآن.

٦ ـ الرسالة توهب لا تكتسب.

٧ ـ بيان عقوبة أهل الإجرام في الأرض.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

شـــرح الكلمـات :

شرح صدره	: شرح الصـدر توسعته لقبول الحق وتحمل الوارد عليه من أنوار الإيمان وعـلامـة ذلك: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله.
حرجاً	: ضيقاً لا يتسع لقبول الحق، ولا لنور الإيمان.
كأنما يصعد	: يصعب عليه قبول الإيمان حتى كأنه يتكلف الصعود إلى السماء.
الرجس	: النَّجس ومالا خير فيه كالشيطان.
فصلنا الآيات	: بيناها وأوضحناها غاية البيان والتوضيح
يذكرون	: يذكرون فيتعظون.
دار السلام	: الجنة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى فهي مضافة إلى الله تعالى.
استكثرتم	: أي من إضلال الإنس وإغوائهم.
استمتع بعضنا ببعض	: انتفع كل منَّا بصاحبه أي تبادلنا المنافع بيننا حتى الموت.
أجلنا الذي أجلت لنا	: أي الوقت الذي وقت لنا وهو أجل موتنا فمتنا.
مثواكم	: مأواكم ومَقر بقائكم وإقامتكم.
حكيم عليم	: حكيم في وضع كل شيء في موضعه فلا يخلد أهل الإيمان في النار، ولا يخرج أهل الكفر منها، عليم بأهل الإيمان وأهل الكفران.

معنى الآيات:

بعد ذلك البيان والتفصيل لطريق الهداية في الآيات من أول السورة إلى قوله تعالى حكاية عن المدعوين إلى الحق العادلين به الأصنام إذ قالوا: ﴿لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله﴾.

أعلم تعالى عباده أن الهداية بيده وأن الإضلال كذلك يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بعدله، وأن لكل من الهداية والإضلال سنناً تتبع في ذلك فمن طلب الهداية ورغب

فيها صادقاً علم تعالى ذلك منه وسهل له طرقها وهيأ له أسبابها، ومن ذلك أنه يشرح[1] صدره لقبول الإيمان وأنواره فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد، ومن طلب الغواية ورغب فيها صادقـاً علم الله تعالى ذلك منه فهيأ له أسبابها وفتح له بابها فجعل صدره ضيقاً حرجاً[2] لا يتسع لقبول الإيمان وحلول أنواره فيه حتى لكأنه يتكلف الصعود إلى السماء وما هو بقادر هذه سنته في الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ أي كذلك الفعل في الهداية والإضلال يجعل الله الرجس[3] أي يلقي بكل مالا خير فيه على قلوبهم من الكبر والحسد والشرك والكفر والشيطان لقبول المحل لكل ذلك نتيجة خلوه من الإيمان بالله ولقائه.

وقوله تعالى ﴿ وهذا صراط ربك مستقيمًا ﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مشيراً إلى مابيّنه من الهدى وهذا طريق ربك مستقيمًا فاسلكه والزمه فإنه يفضي بك إلى كرامة ربك وجواره في جنات النعيم. وقوله: ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ يمتن تعالى وله الحمد والمنة بما أنعم به على هذه الأمة من تفصيل الآيات حججاً وبراهين وشرائع ليهتدي طالبوا الهدى المشار إليهم بقوله ﴿ لقوم يذكرون ﴾ فيذكرون فيؤمنون ويعملون فيكملون ويسعدون في دار السلام إذ قال تعالى ﴿لهم[4] دار السلام عند ربهم وهو وليهم﴾ أي متوليهم بالنصر والتأييد في الدنيا والإنعام والتكريم في الآخرة ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الصالحات.

هذا مادلت عليه الآيات الأولى والثانية والثالثة أما الآية الرابعة (١٢٨) فقد تضمنت عرضـاً سريعاً ليوم القيامة الذي هو ظرف للجزاء على العمل في دار الدنيا فقال تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ﴾[5] إنسهم وجنهم ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يامعشر الجن قد استكثرتم[6] من الإنس ﴾ أي في إغوائهم وإضلالهم، ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ أي الذين كانوا

---

(١) الشرح أصله التوسعة وشرح الأمر بيّنه وأوضحه ومنه تشريح اللحم والشريحة منه القطعة. وشرح الصدر لقبول الحق توسعته لتقبُّل ما يلقى إليه من الهدى وفي الحديث الصحيح «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

(٢) الحرج والحرج بالفتح والكسر قراءتان وهو الضيق وكل ضيق حرج والحرجة الغيضة والجمع حروج وحرجات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحرج موضع الشجر الملتف فقلب الكافر لضيقه لا تصل إليه المعرفة كما لا تصل الشاة إلى الشجر الملتف أو تدخل رأسها بين الشجر فيصعب عليها إخراجه فتقع في حرج، والحرج الإثم.

(٣) أصل الرجس في اللغة النتن وقال مجاهد: الرجس مالا خير فيه فكما يجعل صدر الكافر ضيقاً لا يقبل الهدى يجعل عليه الرجس فيقبل كل خبيث نتن من الأقوال والاعتقادات.

(٤) دار السلام الجنة والسلام هو الله فدار السلام كبيت الله وهناك معنى اخر وهو أنها دار السلامة من كل أذى ومكروه وآفة.

(٥) نُصب الظرف بفعل محذوف تقديره يقول يوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن الخ.

(٦) حذف لفظ الاستمتاع إيجازاً لدلالة السياق وحرف الجر عليه أي قد استكثرتم من الاستمتاع من الإنس.

يوالونهم على الفساد والشر والشرك والكفر ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿استمتع بعضنا ببعض﴾ أي كل منا تمتع بخدمة الآخر له وانتفع بها، يريدون أن الشياطين زينت لهم الشهوات وحسنت لهم القبائح وأغرتهم بالمفاسد فهذا انتفاعهم منهم وأما الجن فقد انتفعوا من الإنس بطاعتهم والاستجابة لهم حيث خبثوا خبثهم وضلوا ضلالهم. وقولهم ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي واستمر ذلك منا إلى أن انتهينا إلى أجلنا الذي أجلته لنا وهو نهاية الحياة الدنيا وها نحن بين يديك، كأنهم يعتذرون بقولهم هذا فرد الله تبارك وتعالى عليهم بإصدار حكمه فيهم قائلا: ﴿النار مثواكم[1] خالدين فيها إلا ماشاء الله﴾ ومعنى مثواكم: مقامكم الذي تقيمون فيه أبداً.

ومعنى قوله ﴿إلا ما شاء الله﴾ هو استثناء[2] لبيان إرادة الله المطلقة التي لا يقيدها شيء، إذ لو شاء أن يخرجهم من النار لأخرجهم أي ليس هو بعاجز عن ذلك، ومن الجائز أن يكون هذا الاستثناء المراد به من كان منهم من أهل التوحيد ودخل النار بالفسق والفجور وكبير الذنوب بإغواء الشياطين له فإنه يخرج من النار بإيمانه، ويكون معنى (ما) (من) أي إلا من شاء الله. والله أعلم بمراده، وقوله في ختام الآية، ﴿إن ربك حكيم عليم﴾، ومن مظاهر حكمته وعلمه إدخال أهل الكفر والمعاصي النار أجمعين الإنس والجن سواء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان سنة الله تعالى في الهداية والإضلال.

٢ ـ بيان صعوبة وشدة مايعاني الكافر إذا عرض عليه الإيمان.

٣ ـ القلوب الكافرة يلقى فيها كل ما لا خير فيه من الشهوات والشبهات وتكون مقراً للشيطان.

٤ ـ فضيلة الذكر المنتج للتذكر الذي هو الإتعاظ فالعمل.

٥ ـ ثبوت التعاون بين أخباث الإنس والجن على الشر والفساد.

٦ ـ إرادة الله مطلقة يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلا يؤثر فيها شيء.

---

(١) المثوى المقام أي النار موضع مقامكم.

(٢) ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في هذا الاستثناء وما ذكرته في التفسير أحسن ما يؤول به هذا الاستثناء الإلهي في هذه الآية وفي آية هود.

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾
وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

شرح الكلمات :

نولي بعض الظالمين بعضاً : أي نجعل بعضهم أولياء بعض بجامع كسبهم الشر والفساد.

بما كانوا يكسبون : أي من الظلم والشر والفساد.

ألم يأتكم رسل منكم : الإستفهام للتوبيخ والرسل جمع رسول من أوحى الله تعالى إليه شرعه وأمره بإبلاغه للناس، هذا من الإنس أما من الجن فهم. من يتلقون عن الرسل من الإنس ويبلغون ذلك إخوانهم من الجن، ويقال لهم النُّذُر.

يقصون عليكم آياتي : يخبرونكم بما فيها من الحجج متتبعين ذلك حتى لا يتركوا شيئاً إلا بلغوكم إياه وعرفوكم به.

وينذرونكم لقاء يومكم : أي يخوفونكم بما في يومكم هذا وهو يوم القيامة من العذاب والشقاء.

وأهلها غافلون : لم تبلغهم دعوة تعرفهم بربهم وطاعته، وما لهم عليها من جزاء.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ إخبار منه تعالى بسنته في أهل الظلم وهي أن يجعل بعضهم أولياء بعض بمعنى يتولاه بالنصرة والمودة بسبب الكسب السيء الذي يكسبونه على نحو موالاة شياطين الإنس للجن فالجامع بينهم الخبث والشر وهؤلاء الجامع بينهم الظلم والعدوان، ولا مانع من حمل هذا اللفظ على تسليط الظالمين بعضهم على بعض على حد: ولا ظالم إلا سيبتلى بأظلم[1] كما أنه تعالى سيوالي يوم القيامة إدخالهم النار فريقاً بعد فريق وكل هذا حق وصالح لدلالة اللفظ عليه.

وقوله تعالى: ﴿ يامعشر الجن والإنس ﴾ إخبار منه تعالى بأنه يوم القيامة ينادي الجن والإنس موبخاً لهم فيقول: ﴿ ألم يأتكم رسل منكم[2] يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ألم يأتكم رسل من جنسكم تفهمون عنهم ويفهمون عنكم ﴿يقصون عليكم آياتي ﴾ أي يتلونها عليكم ويخبرونكم بما تحمله آياتي من حجج وبراهين لتؤمنوا بي وتعبدوني وحدي دون سائر مخلوقاتي، وينذرونكم أي يخوفونكم، لقاء يومكم هذا الذي أنتم الآن فيه وهو يوم القيامة والعرض على الله تعالى. وما يتم فيه من جزاء على الأعمال خيرها وشرها، وأن الكافرين هم أصحاب النار. فأجابوا قائلين: شهدنا على أنفسنا ـ وقد سبق أن غرتهم[3] الحياة الدنيا فواصلوا الكفر والفسق والظلم ـ ﴿وشهدوا على أنفسهم[4] أنهم كانوا كافرين﴾.

هذا مادلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الثالثة (١٣١) فقد تضمنت الإشارة إلى علة إرسال الرسل إلى الإنس والجن إذ قال تعالى ﴿ ذلك[5] أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم[6]

---

(١) في هذا المعنى قول الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلاّ سيبلى بظالم

(٢) قوله منكم فيه تغليب الإنس على الجن في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث إذ الرسل من الإنس لا غير ومن الجن نذر ينذرونهم بما يتلقونه عن الرسل من الإنس كما قال تعالى ﴿فلما قُضي ولوّا إلى قومهم منذرين﴾ وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ والمراد البحر الملح فقط وفي وصف الرسل بلفظ منكم زيادة في إقامة الحجة عليهم.

(٣) غرتهم إذ عجلت لهم طيباتهم فيها فانفردوا بزخارفها وزينتها وطول العمر فيها.

(٤) قال مقاتل هذا معنى شهدت عليهم الجوارح بالشرك.

(٥) ذلك في موضع رفع أي الأمر ذلك وإن مخففة من الثقيلة أي المشددة واسمها ضمير الشأن محذوف وذلك لأن هذا الخبر له شأن يجدران يعرف والتقدير الأمر ذلك لأنه ـ أي الشأن ـ لم يكن ربك مهلك القرى بظلم الخ.

(٦) الباء في بظلم سببية أي بسبب ظلمهم وجملة وأهلها غافلون حالية.

وأهلهـا غافلون﴾ أي ذلـك الإرسال كان لأجل أنه تعالى لم يكن من شأنه ولا مقتضى حكمته أنه يهلك أهل القرى بظلم منه وما ربك بظلام للعبيد ولا بظلم منهم وهو الشرك والمعاصي وأهلها غافلون لم يؤمروا ولم ينهوا، ولم يعلموا بعاقبة الظلم وما يحل بأهله من عذاب.

وفي الآية الأخيرة (١٣٢) أخبر تعالى أن لكل عامل[١] من خير أو شر درجات من عمله إن كان العمل صالحاً فهي درجات في الجنة، وإن كان العمل سيئاً فاسداً فهي دركات في النار، وهذا يتم حسب علم الله تعالى بعمل كل عامل وهو ما دل عليه قوله، ﴿وماربك بغافل عما يعملون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ بيان سنة الله تعالى في أن الأعمال هي سبب الموالاة بين الإنس والجن فذو العمل الصالح يوالي أهل الصلاح، وذو العمل الفاسد يوالي أهل الفساد.

٢ ـ التحذير من الإغترار بالحياة الدنيا.

٣ ـ بيان العلة في إرسال الرسل وهي إقامة الحجة على الناس، وعدم إهلاكهم قبل الإرسال إليهم.

٤ ـ الأعمال بحسبها يتم الجزاء فالصالحات تكسب الدرجات، والظلمات تكسب الدركات.

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

(١) لكل عامل أي من الإنس والجن.

مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

شـــرح الكلمـات :

الغنى : عن كل ماسواه، فغناه تعالى ذاتي ليس بمكتسب كغنى غيره.

ذو الرحمة : صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من عباده.

ويستخلف : أي ينشىء خلقاً آخر يخلفون الناس في الدنيا.

إن ماتوعدون لآت : إن ما وعد الله تعالى به عباده من نعيم أو جحيم لآت لا محالة.

على مكانتكم : أي على ما أنتم متمكنين منه من حال صالحة أو فاسدة.

عاقبة الدار : أي الدار الدنيا وهي سعادة الآخرة القائمة على الإيمان والعمل الصالح.

إنه لايفلح الظالمون : أي لايفـوز الظالمون بالنجاة من النار ودخول الجنان لأن ظلمهم يوبقهم في النار.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وبيان جزاء من أقام بها، ومن ضيعها في الدار الآخرة.

خاطب الرب تبارك وتعالى رسوله قائلاً : ﴿ وربك الغني[1] ذو الرحمة ﴾ أي ربك الذي أمر عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته هو الغني عنهم وليس في حاجة إليهم، بل هم الفقراء إليه المحتـاجون إلى فضله، ورحمته قد شملتهم أولهم وآخرهم ولم تضق عن أحد منهم، ليعلم أولئك العادلون بربهم الأصنام والأوثان أنه تعالى قادر على إذهابهم بإهلاكهم بالمرة، والإتيان بقوم آخرين أطوع لله تعالى منهم، وأكثر استجابة له منهم: ﴿ إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ وليعلموا أن مايوعدونه من البعث والحساب والجزاء لآت لا محالة وما أنتم بمعجزين الله تعالى ولا فائتينه بحال،

(١) الغني هو الذي لا يحتاج إلى غيره وكل غنى من الخلق غناه إضافي غير حقيقي أما غنى الله تعالى فهو حقيقي فقوله وربك الغني أي الغنى المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره ولذا كان في الصيغة قصر الغنى الحق عليه تعالى.

ولذا سوف يجزي كلاً بعمله خيراً كان أو شراً وهو على ذلك قدير.

هذا مادلت عليه الآيتان الأولى والثانية أما الآية الثالثة (١٣٥) فقد تضمنت أمر الله تعالى للرسول أن يقول للمشركين من قومه وهم كفار قريش بمكة ﴿ اعملوا[1] على مكانتكم ﴾ مادمتم مصرين على الكفر والشرك ﴿ إني عامل ﴾ على مكانتي[2] فسوف تعلمون من تكون له عاقبة دار[3] الدنيا وهي الجنة دار السلام أنا أم أنتم مع العلم أن الظالمين لا يفلحون بالنجاة من النار ودخول الجنان، ولا شك أنكم أنتم الظالمون بكفركم بالله تعالى وشرككم به.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير غنى الله تعالى المطلق عن سائر خلقه.

٢ ـ بيان قدرة الله تعالى على إذهاب الخلق كلهم والإتيان بآخرين غيرهم.

٣ ـ صدق وعد الله تعالى وعدم تخلفه.

٤ ـ تهديد المشركين بالعذاب إن هم أصروا على الشرك والكفر والذي دل عليه قوله ﴿ اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ﴾ الدنيا ﴿ إنه لايفلح الظالمون ﴾.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ

(١) هذا الأمر للتهديد، والمكانة هي المكان كالدارة والدار والمراد بها الحال التي عليها الإنسان من قوة أو ضعف أو خير أو شر أو إصلاح أو إفساد.

(٢) الجملة تحمل التهديد الشديد وهي تشير إلى أن الرسول ﷺ واثق من نصره وحسن عاقبته وهو كذلك إذ الله تعالى الذي بيده الأمر هو الذي أمره أن يعلن عن هذا التهديد.

(٣) العاقبة لغة آخر الأمر وأثر عمل العامل، فعاقبة كل شيء هي ما ينجلي عنه الشيء من نتيجة وأثر وتأنيث العاقبة بالنظر إلى تأويلها بالحالة والحالة مؤنثة.

سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ
شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن
مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ
سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ
قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

شرح الكلمات :

مما ذرأ : مما خلقَ .

من الحرث والأنعام : الحرث كل ما يحرث له الأرض من الزروع ، والأنعام : الإبل والبقر والغنم .

نصيباً : حظاً وقدراً معيناً .

لشركائنا : شركاؤهم أوثانهم التي أشركوها في عبادة الخالق عز وجل .

ساء مايحكمون	: قبح حكمهم في ذلك إذ آثروا أوثانهم على الله.
ليردوهم	: اللام لام العاقبة ومعنى يردوهم: يهلكوهم.
وليلبسوا	: ليخلطوا عليهم دينهم.
حجر	: أي ممنوعة على غير من لم يأذنوا له في أكلها.
حرمت ظهورها	: أي لايركبونها ولا يحملون عليها.
افتراء على الله	: أي كذباً على الله عز وجل.
على أزواجنا	: أي إناثنا.
وإن يكن ميتة	: أي إن ولد ما في بطن الحيوان ميتاً فهم فيه شركاء الذكور والإناث سواء.
سفهاً بغير علم	: حمقاً وطيشاً وعدم رشد وذلك لجهلهم.

معنى الآيات:

مازال السياق في التنديد بأفعال العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم فأخبر تعالى عما كانوا يبتدعونه من البدع ويشرعون من الشرائع بدون علم ولا هدى ولا كتاب مبين فقال تعالى عنهم ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً[1] ﴾ أي جعل أولئك العادلون بربهم لله تعالى مما خلق من الزرع والأنعام نصيباً أي قسماً كما جعلوا للآلهة التي يؤلهونها مع الله سبحانه وتعالى نصيباً، ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم[2]، وهذا لشركائنا﴾. وقوله تعالى: ﴿بزعمهم﴾ لأنه سبحانه وتعالى ما طلب منهم ذلك ولا شرعه لهم وإنما هم يكذبون على الله تعالى ثم إذا أنبت أو أنتج ماجعلوه لله، ولم ينبت أو ينتج ما جعلوه للشركاء حولوه إلى الشركاء بدعوى أنها فقيرة وأن الله غني، وإذا حصل العكس لم يحولوا ماجعلوه للآلهة لله بنفس الحجة وهي أن الشركاء فقراء، والله غني.

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ وهو تحيز ممقوت وتحكم فاسد فلذا قبح تعالى ذلك عليهم فقال ﴿ ساء

---

(١) في الكلام ايجاز إذ حذف منه المقابل وهو وجعلوا لآلهتهم نصيباً وحذفه كان لدلالة ما بعده عليه.

(٢) الزعم بفتح الزاي وقد تضم وتكسر أيضاً لغات والفتح أشهر والزعم الكذب قال شريح القاضي رحمه الله تعالى إن لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وقد كذب المشركون فيما جعلوه لله تعالى حيث لم يشرع ذلك لهم وإنما هم مفتاتون

مايحكمـون ﴾ أي بئس الحكم حكمهم هذا وقبح صنيعاً، صنيعهم هذا، وماجعلوه لله ينفقـون على الضيفـان والفقـراء، ومـاجعلوه للشركاء ينفقونه على السدنة والمقيمين على الأصنام والأوثان.

هذا مادلت عليه الآية الأولى أما الثانية (١٣٧) وهي قوله تعالى ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ﴾ يريد وكذلك التحكم الباطل والإدعاء الكاذب في جعل لله شيئاً مما ذرأ من الحرث والأنعام، ثم عدم العدل بين الله تعالى وبين شركائهم زين لكثير من المشركين شركاؤهم وهم شياطينهم من الجن والإنس قتل أولادهم كالمؤودة من البنات خوف العار، وكقتل الأولاد الصغار خوف الفقر، أو لنذرها للآلهة،[1] وفعل الشياطين ذلك من أجل أن يردوهم أي يهلكوهم ،ويلبسوا عليهم دينهم[2] الحق أن يخلطوه لهم بالشرك، وهـو معنى قولـه تعالى ﴿ ليردوهم[3] وليلبسوا عليهم دينهم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله مافعلوه ﴾ هو كما قال إذ لو أراد تعالى منعهم من ذلك لمنعهم[4] وهو على كل شيء قدير، إذاً فذرهم أيها الرسول ومايفترون من الكذب في هذا التشريع الجاهلي الباطل القبيح.

هذا مادلت عليه الآية الثانية أما الثالثة (١٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر[5] لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ﴾.

فقد تضمنت هذه الآية ثلاثة ضروب من تشريع الجاهلية وأباطيلهم:

الأول: تحريمهم بعض الأنعام والحرث وجعلها لله وللآلهة التي يعبدونها مع الله.

الثاني: أنعام أي إبل حرموا ركوبها كالسائبة والحام.

الثالثة: إبلٌ لايذكرون اسم الله عليها فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ولا إن حملوا عليها.

---

(١) كما نذر عبد المطلب ولده عبدالله للآلهة، ثم فداه بمائة من الإبل.

(٢) فإن قيل: وهل كان لهم دين حق؟ الجواب! نعم كان لهم دين حق وهو ما جاءهم به اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وبطول الزمان وفتنة الشيطان فسد عليهم.

(٣) اللام هنا لام العاقبة والصيرورة.

(٤) في هذا رد على القدرية وفيه تسلية للرسول ﷺ وتخفيف عليه.

(٥) في لفظ حجر الفتح والضم والكسر ومعناه المنع وسمى العقل حجراً لأنه يمنع من قول وفعل القبيح وحجر القاضي على المفلس منعه من التصرف في المال وهو مشتق من الحرج بالكسر وهي لغة في الحرج الذي هو الضيق والإثم.

وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ افتراء عليه ﴾ أي كذباً على الله تعالى لأنه تعالى ماحرم ذلك عليهم وإنما حرموه هم بأنفسهم وقالوا حرمه الله علينا، ولذا توعدهم الله تعالى على كذبهم هذا بقوله: ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ أي سيثيبهم الثواب الملائم لكذبهم وهو العذاب الأخروي.

هذا مادلت عليه الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٣٩) ﴿ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتاً فهم فيه شركاء ﴾ فقد تضمنت تشريعاً آخر باطلاً اختلقوه بأنفسهم وزعموا أن الله شرعه لهم وهو أنهم حرموا مافي بطون بعض الأنعام على الإناث، وجعلوها حلالاً للذكور خالصة لهم دون النساء فلا يشرب النساء من ألبانها ولا يأكلن لحوم أجنتها إن ذبحوها ولا ينتفعن بها بحال، اللهم إلا أن ولد الجنين ميتاً فإنهم لا يحرمونه على النساء ولا يخصون به الذكور فيحل أكله للنساء والرجال معاً، ولذا توعدهم تعالى بقوله ﴿سيجزيهم وصفهم[1] إنه حكيم عليم﴾ أي سيثيبهم على هذا الكذب بما يستحقون من العذاب إنه حكيم في قضائه عليم[2] بعباده.

هذا مادلت عليه الآية الرابعة أما الخامسة (١٤٠) فقد أخبر تعالى بخسران أولئك المشرعين وضلالهم وعدم هدايتهم بقوله ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً﴾ أي جهلاً ﴿بغير[3] علم، وحرموا مارزقهم الله﴾ مما سبق ذكره ﴿افتراءً على الله﴾ كذباً ﴿قد ضلوا وماكانوا مهتدين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - حرمة الابتداع في الدين والتشريع المنافي لشرع الله تعالى وإن لم ينسب إلى الله تعالى.

٢ - ماينذره الجهال اليوم من نذور للأولياء وإعطائهم شيئاً من الأنعام والحرث والشجر هو من عمل المشركين زينه الشيطان لجهال المسلمين.

٣ - حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض

---

(١) أي كذبهم وقيل في الوصف كذب لأنهم وصفوا بعض الأجنة بالحرمة وبعضاً آخر بالحلية وهو كقوله تعالى من سورة النحل ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام﴾.

(٢) قال القرطبي في الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول مخالفه وإن لم يأخذ به حتى يعرف فساد قوله ويعلم كيف يرد عليه لأن الله تعالى علّم نبيه وأصحابه قول من خالفهم في زمانهم ليعرفوا فساد قولهم.

(٣) في الآية دليل واضح على حرمة القول بدون علم وكذا الاعتقاد والعمل فلا يحل لأحد أن يعتقد أو يقول أو يعمل بدون علم شرعي قد تمكن من معرفته.

الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر.

۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ
مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ
مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ
حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١
وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢
ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ
قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ
أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣
وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ
أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤

شــرح الكلمـات :

أنشأ جنات	:	خلق جنات جمع جنة وهي البستان .
معروشات	:	ما يعمل له العريش من العنب، وما لا يعرش له من سائر الأشجار.
مختلفاً أكله	:	أي ثمره الذي يأكل منه .
متشابهاً	:	في الورق وغير متشابه في الحب والطعم
حــقه	:	ما وجب فيه من الزكاة .
يوم حصاده	:	يوم حصاده إن كان حباً وجذاذه إن كان نخلاً .
ولا تسرفوا في إخراجه	:	أي بأن لاتبقوا لعيالكم منه شيئاً .
حمولة	:	الحمولة مايحمل عليها من الإبل .
وفرشا	:	الفرش الصغار من الحيوان .
خطوات الشيطان	:	مسالكه في التحريم والتحليل للإضلال والغواية .
أم ما اشتملت عليه		
أرحام الأنثيين	:	أنثى الضأن وأنثى الماعز ذكراً كان أو أنثى .
نبئوني بعلم	:	خبروني بأيها حرم بعلم صحيح لابوسواس الشياطين .
أم كنتم شهداء	:	أي حاضرين وقت تحريمه تعالى ذلك عليكم إن كان قد حرمه كما تزعمون .

معنى الايات :

لما توعد الحق تبارك وتعالى المفترين عليه حيث حرموا وحللوا ما شاءوا ونسبوا ذلك إليه إفتراء عليه تعالى ، ومافعلوه ذلك إلا لجهلهم بالله تعالى وعدم معرفتهم بعلمه وقدرته وإلا لما اتخذوا له أنداداً من الأحجار وقالوا: شركاؤنا، وشفعاؤنا عند الله . ذكر تعالى في هذه الآيات الأربع مظاهر قدرته وعلمه وحكمته وأمره ونهيه وحجاجه في إبطال تحريم المشركين ما أحل الله لعباده فقال تعالى: ﴿ وهو الذي أنشأ جنات[1] ﴾ أي بساتين وحدائق من العنب

---

(١) الجنّات : جمع جنة وهي البستان وسمي البستان جنة لأنه لكثرة أشجاره يجن أي يستر الكائن فيه ، وسمي الجنين في البطن جنيناً لاجتنانه واستتاره ببطن أمه .

معروشات[1] أي محمول شجرها على العروش التي توضع للعنب ليرتفع فوقها وغير معروشات أي غير معرش لها، وأنشأ النخل والزرع مختلفاً ثمره وطعمه، وأنشأ الزيتون والرمان متشابهاً في الـورق، وغير متشابه في الحب والطعم أيضاً. وأذن تعالى في أكله وأباحه وهو مالكه وخالقه فقال: ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ أي نضج بعض النضج وأمر بإخراج الواجب فيه وهو الزكاة فقال ﴿ وآتوا حقه يوم[2] حصاده ﴾ أي بعد درسه وتصفيته إذ لا يعطى السنبل، ونهى عن الإ سراف وهـو تجاوز الحـد في إخـراج الـزكـاة غلوا حتى لا يبقوا لمن يعولون مايكفيهم، فقال: ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب[3] المسرفين ﴾ وأنشأ من الأنعام: الإبل والبقر والغنم ﴿حمولة﴾ وهي مايحمل عليها لكبرها ﴿وفرشاً﴾ وهي الصغار التي لا يحمل عليها، وأذن مرة أخـرى في الأكـل مما رزقهم سبحانه وتعالى من الحبوب والثمار واللحوم وشرب الألبان، فقال: ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ ونهى عن اتباع مسالك الشيطان في تحريم ما أحل الله وتحليل ماحرم فقال: ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ وعلل للنهي فقال: ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ ومَن عرف عدوه اتقاه ولو بالبعد عنه، وأنشأ ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين﴾ وهما الكبش والنعجة، ﴿ومن المعز اثنين﴾ وهما التيس والعنزة، وأمر رسوله أن يحاج المفترين في التحـريم والتحليل فقـال له ﴿قل﴾ يارسولنا لهم ﴿آلذكرين[4] حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ أي النعجة والعنزة ﴿ نبؤني بعلم إن كنتم صادقين ﴾ فإن قلتم حرم الذكرين فلازم ذلك جميع الذكور حرام، وإن قلتم حرم الأنثيين فلازمه أن جميع الإناث حرام وإن قلتم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فكل ما ولد منها حرام ذكراً كان أو أنثى فكيف إذا حرمتم البعض وحللتم البعض فبأي علم أخذتم نبوئوني به إن كنتم صادقين وقوله تعالى ﴿ ومن الإبل اثنين ﴾ وهما الناقة والجمل، ﴿ومن البقـر اثنين﴾ وهما الثور والبقرة ﴿قل آلذكرين[5] حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام[6]

---

(١) وقيل المعروشات: ما يعني به من الشجر على اختلافه، وغير المعروشات وهو شجر البوادي والجبال وما في التفسير أولى لقوته ودلالة اللفظ عليه.

(٢) كان قبل فريضة الزكاة يتعين على من حصد أو جد ثمره وأتاه المساكين أن يعطيهم شيئاً مما بين يديه قل أو كثر ولما فرضت الزكاة وحددت مقاديرها خصص هذا بها حيث بُين الحق المجمل هنا.

(٣) في الآية دليل حرمة الإسراف وهو محرم في كل شيء وهو الخروج عن حد الإعتدال والقصد.

(٤) الاستفهام للإنكار أي ينكر عليهم أن يكون الله حرم ذلك.

(٥) إبطال لما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

(٦) إبطال لقولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا.

الأنثيين﴾، فهل حرم الذكرين أو الأنثيين هذه الأزواج الأربعة فإن حرم الذكرين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وحينئذ يكون كل مولود منهما محرماً ذكراً كان أو أنثى، وبهذا تبين أنكم كاذبون على الله مفترون فالله تعالى لم يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئاً، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

وقوله تعالى ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله﴾ بهذا التحريم فهو تبكيت لهم وتقريع، إذ لم يحرم الله تعالى هذا الذي حرموه، ولم يوصهم بذلك ولم يكونوا حال الوصية حضوراً، وإنما هو الإفتراء والكذب على الله تعالى.

وأخيراً سجل عليهم أنهم كذبة ظالمون مضلون لغيرهم بغير علم، وأنهم لايستحقون الهداية فقال عز وجل: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل[1] الناس بغير علم إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ إباحة أكل التمر والعنب والرمان والزيتون.

٢ ـ وجوب الزكاة في الزيتون والتمر والحبوب إذا بلغت النصاب وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً، والصاع أربع حفنات.

٣ ـ جواز الأكل من الثمر قبل جذاذه[2] وإخراج الزكاة منه.

٤ ـ حرمة الإسراف في المال بأن ينفقه فيما لا يعني، أو ينفقه كله ولم يترك لأهله شيئاً.

٥ ـ إباحة أكل بهيمة الأنعام وهي ثمانية أزواج، ضأن[3] وماعز، وإبل وبقر وكلها ذكر وأنثى.

٦ ـ إبطال تشريع الجاهلية في التحريم والتحليل، فالحلال ما أحله الله ورسوله والحرام

---

(١) يدخل في هذه الخطاب دخولاً أولياً عمرو بن لحيّ اذ هو أول من جلب الأصنام للحجاز ويدخل فيه كذلك أول من سيب السوائب الخ..

(٢) الضأن من ذوات الصوف والمعز من ذوات الشعر.

(٣) اختلف في زكاة التين والراجح أنه إذا بلغ خمسة أوسق بعد يبسه يزكى لأنه يدخر ويقتات واختلف في الخرص للثمر والعنب والجمهور على جوازه للحديث الوارد في ذلك وهو «وإنما كان أمر رسول الله ﷺ بالخرص لكي تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتفرق». رواه الدارقطني.

ماحرمه الله ورسوله .

٧ ـ جواز الجدال والحجاج لإحقاق الحق أو إبطال الباطل .

٨ ـ لا أظلم ممن يكذب على الله تعالى ، فيشرع لعباده ما لم يشرع لهم .

قُل لَّآ أَجِدُ
فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

شـــرح الكلمـات :

محرماً على طاعم يطعمه : محظوراً ممنوعاً على آكل يأكله .

ميتة أو دماً مسفوحاً : الميتة :ما مات دون تزكية ،والدم المسفوح : المصبوب صباً لا المختلط باللحم والعظام .

رجـــس : نجس وقذر قبيح محرم .

أو فسقا أهل لغير الله به : الفسق الخروج عن طاعة الله والمراد ماذبح ولم يذكر اسم الله عليه وإنما ذكر عليه اسم الأصنام أو غيرها ، والإهلال

رفع الصوت باسم المذبوح له.

فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد : اضطر: ألجأته الضرورة وهي خوف الهلاك، والباغ الظالم، والعادي: المعتدي المجاوز للحد.

هــادوا : اليهــود

ذي ظفــر : صاحب ظفر وهو الحيوان الذي لا يفرق أصابعه[1] كالإبل والنعام.

ما حملت ظهورها أو الحوايا : أي الشحم العالق بالظهر، والحوايا[2]: المباعر والمصارين والأمعاء.

أو ما اختلط بعظم : أي عفى لهم عن الشحم المختلط بالعظم كما عفي عن الحوايا والعالق بالظهر.

ببغيهم : أي بسبب ظلمهم.

ولا يرد بأسه : بطشه وعذابه.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحجاج مع أولئك المحرمين ما لم يحرم الله ففي أولى هذه الآيات يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للذين يحرمون افتراءً على الله مالم يحرم ﴿لا أجد فيها أوحي إلي﴾ ـ وأنا رسول الله ـ ﴿محرماً﴾ أي شيئاً محرماً ﴿على طاعم يطعمه﴾ أي آكلٍ يأكله اللهم ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ وهي ماما ت من الحيوان حتف أنفه أي لم يذك الذكاة الشرعية، ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ أي مصبوباً صباً لا الدم المختلط بالعظم واللحم كالكبد والطحال، ﴿أو لحم خنزير فإنه﴾ أي لحم الخنزير ﴿رجس﴾ أي نجس قذر حرام، ﴿أو فسقاً[3] أهل لغير الله به﴾ أي ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم الأصنام عليه فهو فسق أي خروج عن طاعة الرب الذي أمر من أراد ذبح بهيمة أن يذكر عليها اسمه ليحل له أكلها.

---

(١) في ذي الظفر تفاسير أرجحها ما في التفسير وهو ما ليس بمنفرج الأصابع وقيل الإبل خاصة، وقيل كل ذي حافر من الدواب.

(٢) واحد الحوايا حاوية. وحويّة والمراد بها ما تحوّى من الأمعاء واستدار منها.

(٣) تقدير الكلام أو أن يكون المراد أكل ما أهل لغير الله به فصار فسقاً لذلك إذ الذبح لغير الله شرك وخروج من الدين، والفسق يطلق على التفصي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله.

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ قل لا أجد فيما أوحي[1] إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به ﴾.

وقوله تعالى ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ أي غير ظالم بأكل الميتة وما ذكر معها وذلك بأن يأكلها تلذذاً بها لا دفعاً لغائلة الموت وهو كاره لأكلها ﴿ولا عاد﴾ أي غير متجاوز القدر الذي أبيح له وهو مايدفع به غائلة الموت عن نفسه ﴿ فإن ربك غفور رحيم ﴾ ومن مظاهر مغفرته ورحمته أنه أذن للمضطر بالأكل مما هو حرام في الضرورة.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (١٤٥) أما الآية الثانية فبعد أن بين تعالى أنه لم يحرم على المؤمنين غير ماذكر من الميتة وماذكر بعدها أخبر أنه حرم على اليهود أكل كل ذي ظفر وهو ماليس له أصابع مفرقة مثل الإبل والنعام والبط والإوز ومن البقر والغنم حرم عليهم شحومهما وهو الشحم اللاصق بالكرش والكلى، وأباح لهم من الشحوم ماحملته البقرة أو الشاة على ظهرها ، وما كان لاصقاً بالمباعر وهي الحوايا جمع حاوية وكذا الشحم المختلط بالعظام كشحم اللية، وشحم الجانب والأذن والعين وما إلى ذلك.

هذا ماتضمنه قوله تعالى من الآية الثانية ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾ ثم أخبر تعالى بأن هذا التحريم عليهم كان عقوبة لهم بسبب ظلمهم وإجرامهم فقال ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم[2] ﴾ أي ذلك التحريم منا عليهم كان جزاء ظلمهم، وقوله ﴿ وإنا لصادقون ﴾ فيما أخبرنا به عنهم، وهم الكاذبون إذ قالوا إنما حرم هذا على إسرائيل ونحن أتباع له أما نحن فلم يحرم علينا شيء وإنهم لكاذبون. وقوله تعالى ﴿ فإن كذبوك[3] ﴾ أي اليهود فيما أخبرت به عنهم ﴿فقل﴾ لهم ﴿ربكم ذو رحمة واسعة[4]﴾ ولذا لم يعاجلكم بالعقوبة وقد كذبتموه وكذبتم رسوله وافتريتم على رسله، ولكن ليس معنى ذلك أنكم نجوتم من

---

(١) هل هذه الآية منسوخة بآية المائدة؟ اختلف في ذلك والراجح أنها غير منسوخة إذ هي خبر والأخبار لا تنسخ وآية المائدة ذكرت المنخنقة وما بعدها وهي داخلة في حكم الميتة، وما ذبح على النصب داخل في وما أهل به لغير الله إذاً فالآية محكمة.

(٢) من بغيهم قتلهم الأنبياء وأكل الربا وتبرج النساء واستحلال المحرمات بالحيل والفتاوى الفاسدة.

(٣) قيل إن المراد بالمكذبين المشركون، وقيل اليهود وكلاهما مكذب وكافر واللفظ يصدق عليهما معاً.

(٤) من مظاهر رحمته أنه يحلم على العصاة وينظرهم ويمهلهم لعلهم يتوبون فعدم تعجيله العقوبة هو دليل رحمته الواسعة.

العذاب فإن بأس الله لايرد عن القوم المجرمين[1] من أمثالكم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة الميتة وأنواعها في سورة المائدة وهي المنخنقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وحرمة الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وما ذبح على النصب وحرم بالسنة الحمر[2] الأهلية والبغال، وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور.

٢ ـ قد يُحرم العبد بالذنوب من كثير من الطيبات كما حصل لليهود .

٣ ـ إمهال الله تعالى المجرمين لا يدل على عدم عقوبتهم فإن بأس الله لايرد عن القوم المجرمين .

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ

---

(١) في الآية وعيد وتهديد وهو صالح لأن ينزل في الدنيا وفي الآخرة إذ العلة هي الإجرام وهو قائم فهم متوغلون فيه ولذا لابد من العقوبة ما لم تحصل توبة صادقة .

(٢) ذكر القرطبي أن علة تحريم الحمار قد تكون حاجة الناس للحمل عليها والركوب وذكر علة أخرى وهي كونه نجساً وذكر عن الترمذي في نوادر الأصول أن الحمار أظهر جوهره الخبيث حيث نزا على ذكره وتلوّط فسمى لذلك رجساً وليس في الدواب من يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار والخنزير.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)﴾

شـــرح الكلمات:

أشركوا : أي جعلوا لله شركاء له يعبدونهم معه.

ولا حرمنا من شيء : أي مما حرموه من البحائر والسوائب والوصائل والحامات.

ذاقوا بأسنا : أي عذابنا.

تخرصون : تكذبون.

الحجة البالغة : الدليل القاطع للدعاوي الباطلة.

هلم شهداءكم : أي أحضروهم.

يعدلون : أي به غيره من الأصنام وسائر المعبودات الباطلة.

معنى الآيات:

مازال السياق في رد ترهات وأباطيل العادلين بربهم المشركين في ألوهيته سواه فذكر تعالى في الآيتين (١٤٨) و(١٤٩) شبهة للمشركين[1] يتخذونها مبرراً لشركهم وباطلهم وهي قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء[2]﴾ يريدون أن عدم مؤاخذة الله تعالى لنا ونحن نشرك به ونحرم مانحرمه دليل على رضا الله بذلك[3] وإلا لمنعنا منه وحال دون فعلنا له، فرد الله تعالى هذه الشبهة وأبطلها بقوله: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ أي مثل هذا التكذيب الصادر من هؤلاء العادلين بربهم من كفار قريش ومشركيها كذب الـذين من قبلهم من الأمم، ومازالو ا على تكذيبهم حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلو كان تعالى راضياً بشركهم وشرهم وباطلهم لما أخذهم فإمهال الله تعالى للناس لعلهم يتوبون ليس دليلاً على رضاه بالشرك والشر، والحجة أنه متى انتهت فترة الإمهال نزل بالمكذبين العذاب.

---

(١) إلى اليوم والغافلون من المسلمين يحتجون بما احتج به المشركون الأولون ويقولون لو شاء الله أن نصلي لصلينا ولو شاء الله أن نترك المحرم لتركناه وهو احتجاج باطل لا وزن له.

(٢) أي من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

(٣) قولهم هذا دال على جهل مركب منهم بالله تعالى وحكمته وتدبيره وهذا ناتج عن كفرهم وعدم إيمانهم بالله وكتابه ورسوله، فالله أوجد العبادة في هذه الحياة ليبتليهم ثم يجزيهم لا أن يجبرهم على ما يحب منهم.

(٤) في قوله كذلك كذب الذين من قبلهم دلالة على أن المشركين لم يريدوا من قولهم لو شاء الله ما أشركنا إلا رد قول الرسول وتكذيبه فيما جاء به ويدعوهم إليه حتى لكأن كلامهم هذا من باب كلمة حق أريد بها باطل.

وقوله تعالى ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمذنبين العادلين بربهم ﴿ هل عندكم من علم فتخرجوه ﴾ أي ليس لديكم علم على ما تدعونه فتخرجوه لنا، ﴿ إن تتبعون[1] إلا الظن﴾ أي ماتتبعون في دعاويكم الباطلة إلا الظن، ﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ أي وما أنتم إلا تخرصون أي تقولون بالحزر والخرص فتكذبون، وقوله تعالى ﴿ قل فلله[2] الحجة البالغة ﴾ أي يعلم رسوله أن يقول لهم بعد أن دحض شبهتهم وأبطلها إن لم تكن لكم حجة فلله الحجة البالغة، ومع هذا ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿ لهداكم أجمعين ﴾ وهو على ذلك قدير، وإنما حكمه في عباده وسنته فيهم أن يكلفهم اختبارا لهم ويوضح الطريق لهم ويقيم الحجة عليهم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية وأما الآية الثالثة (١٥٠) وهي قوله تعالى: ﴿ قل هلم شهداءكم[3] الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ أي الذين حرمتموه فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بهم «فإن شهدوا فلا تشهد معهم» وإن فرضنا أنهم يأتون بشهداء باطل يشهدون[4] فلا تقرهم أنت أيها الرسول على باطلهم بل بين لهم بطلان ما ادعوه، فإنهم لا يتبعون في دعاويهم إلا الأهواء، وعليه ﴿لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾، وقد جمع هؤلاء المشركون كل هذه العظائم من الذنوب التكذيب بآيات الله، وعدم الإيمان بالآخرة، والشرك بربهم فكيف يجوز اتباعهم وهم مجرمون ضالون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والاستمرار فيها.

٢ ـ لا حجة إلا فيما قام على أساس العلم الصحيح.

٣ ـ الحكمة في عدم هداية الخلق كلهم مع قدرة الله تعالى على ذلك هو التكليف

---

(١) إن في الموضعين نافيه بمعنى (ما) كما هي في التفسير.

(٢) فالله الفاء هنا هي الفاء الفصيحة إذ هي مفصحة عن كلام سابق ترتب عليه ما بعدها ترتب الجزاء على الشرط تقديره هنا فإن كان قولكم لمجرد اتباع الظن والخرص والحزر ولا علم لكم فلله تعالى الحجة البالغة التي تصل إلى الحقيقة وتؤكدها وتبطل ما عداها.

(٣) الأمر هنا للتعجيز والشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد.

(٤) أي كذبهم واعلم بأنهم شهداء زور فقوله تعالى فلا تشهد معهم معناه كذبهم ولا تقرهم فإنهم شهداء زور لا غير.

والابتلاء.

٤ ـ مشروعية الشهادة وحضور الشهود.

٥ ـ عدم إقرار شهادة الباطل وحرمة السكوت عنها.

٦ ـ حرمة اتباع أصحاب الأهواء الذين كذبوا بآيات الله.

۞ قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

شرح الكلمات :

اتل : اقرأ.

من إملاق : من فقر.

الفواحش : جمع فاحشة كل ماقبح واشتد قبحه كالزنى والبخل.

حرم الله : أي حرم قتلها وهي كل نفس إلا نفس الكافر المحارب.

إلا بالحـــق : وهو النفس بالنفس وزنى المحصن، والردة.

بالتي هي أحسن : أي بالخصلة التي هي أحسن.

أشده : الإحتلام مع سلامة العقل.

بالقسط : أي بالعدل.

إلا وسعها : طاقتها وما تتسع له.

تذكرون : تذكرون فتتعظون.

الســــبل : جمع سبيل وهي الطريق.

معنى الآيات:

مازال السياق في إبطال باطل العادلين بربهم المتخذين له شركاء الذين يحرمون بأهوائهم ما لم يحرمه الله تعالى عليهم فقد أمر تعالى رسوله في هذه الآيات الثلاث أن يقول لهم: ﴿ تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ﴾[1] لا ماحرمتموه أنتم بأهوائكم وزينه لكم شركاؤكم. ففي الآية الأولى جاء تحريم خمسة أمور وهي: الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس فقال تعالى: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم[2] ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً ﴾ فأن تفسيرية[3]، ولا ناهية وهذا أول محرم وهو الشرك بالله تعالى، ﴿وبالوالدين إحساناً﴾، وهذا أمر إذ التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً، والأمر بالشيء نهي عن ضده فالأمر بالإحسان يقتضي تحريم الإساءة والإساءة إلى الوالدين هي عقوقهما، فكان عقوق الوالدين محرماً داخلاً ضمن المحرمات المذكورة في هذه الآيات الثلاث. ﴿ولا تقتلوا

---

(١) أي أقبلوا وتقدموا وما موصولة بمعنى الذي حرم ربكم عليكم وفي الآية دليل على وجوب بيان المحرمات للأمة حتى تتجنبها، والعلماء منوط بهم ذلك.

(٢) هذه الآيات الثلاثة: قل تعالوا أتل إلى قوله تتقون تضمنت عشراً من الوصايا قال ابن عباس هي محكمات وأجمعت الشرائع الإلهية على تقريرها والعمل بها.

(٣) أي فسرت المحرم وهو الشرك بالله تعالى، وهو أول المحرمات وقدم لأنه أخطرها وأضرها بالإنسان.

أولادكم[١] من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ فهذا المحرم الثالث وهو قتل الأولاد من الإملاق الـذي هو الفقـر وهـذا السبب غير معتبـر إذ لا يجـوز قتـل الأولاد بحال من الأحوال وإنما ذكر لأن المشركين كانوا يقتلون أطفالهم لأجله وقوله تعالى ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ تعليل للنهي عن قتل الأولاد من الفقر إذ مادام الله تعالى يرزقكم أنتم أيها الآباء ويرزق ابنـاءكم فلم تقتلونهم؟ وفي الجملة بشارة للأب الفقير بأن الله تعالى سيرزقه هو وأطفاله فليصـبر ولـيرج، ولا يقتل أطفاله. وقوله تعالى: ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾. هذا الأمر الرابع مما حرم الله تعالى، وهو فعل الفاحشة التي هي الزنى وسواء ماكان منـه ظاهراً أو باطناً والتحريم شامل لكل خصلة قبيحة قد اشتد قبحها وفحش فأصبح فاحشة قولاً كانت أو فعلاً أو اعتقاداً، وقوله: ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق[٢] ﴾ هذا هو المحرم الخامس وهو قتل النفس التي حرم الله قتلها وهي كل نفس ما عدا نفس المحارب فإنها مباحة للقتل، والحق الذي تقتل به النفس المحرمة واحد من ثلاثة وهي القود والقصاص فمن قتل نفساً متعمداً جاز قتله بها قصاصاً. والزنى بعد الإحصان فمن زنى وهو محصن وجب قتله رجماً بالحجارة كفارة له، والردة عن الإسلام، وقد بينت هذه الحقوق السنة فقد قال ﷺ في الصحيح: «لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الـزاني، والتـارك لدينـه المفـارق للجـماعة» وقوله تعالى في ختام الآية ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي ليعدكم بترك هذه المحرمات الخمس لأن تكونوا في عداد العقلاء، لأن من يشرك بربه صنماً أو يسيء إلى أبويه أو يقتل أولاده أو يفجر بنساء الناس أو يقتلهم، لا يعتبر عاقلاً أبداً إذ لو كان له عقل ما أقدم على هذه العظائم من الذنوب والآثام.

وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده[٣]، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان

---

(١) استدل بهذه الآية من قال بتحريم العزل ومثلـه اليـوم استعمال الحبوب لمنع الحمل والجمهور على الجواز للضرورة فقط لقول الرسول ﷺ في العزل: «ذلك الوأد الخفي» فإنه ان لم يدل على التحريم دل على الكراهية.

(٢) قوله تعالى إلا بالحق يخرج به نفس الكافر المحارب فقط فهي التي تقتل بحق الحرب والكفر، وما عداها فكل نفس محرمة القتل ولذا حرم رسول الله ﷺ نفس الكافر المعاهد والذمّي بقوله من قتل معاهداً في غير كنهه أى في غير الحقيقة التي توجب قتله كنقضه المعاهدة مثلا. حرم الله عليه الجنة، والحق الذي تقتل به النفس المحرمة القتل هو قتل النفس. وزنى المحصن والردة والخروج عن إمام المسلمين والمفارقة للجماعة.

(٣) قيل الأشد مفرد لا جمع له بمنزلة الآنك أي الرصاص. وقيل واحده شدّ نحو فلس وافلس، وهو مأخوذ من شد النهار إذا ارتفع.

ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ ففي هذه الآية جاء تحريم أربعة أمور هي : **أكل مال اليتيم ، والتطفيف في الوزن ،والجور في الأقوال والأحكام ،ونكث العهد.** فقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ أي بما ينقصه أو يفسده إلا بالحالة التي هي أحسن له نماءً وحفظاً وقوله ﴿حتى يبلغ أشده﴾ بيان لزمن اليتم وهو من ولادته وموت والده إلى أن يبلغ زمن الأشد وهو البلوغ ، والبلوغ يعرف بالاحتلام أو نبات شعر العانة ، وفي الجارية بالحيض أو الحمل ، وببلوغ الثامنة عشرة من العمر وعلى شرط أن يبلغ اليتيم[1] عاقلاً فإن كان غير عاقل يبقى في كفالة كافله ، وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل[2] والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أمر بتوفية الكيل والوزن ، والأمر بالشيء نهي عن ضده ، وبذا حرم بخس الكيل والوزن والتطفيف فيهما وقوله ﴿ بالقسط ﴾ أي بالعدل بحيث لايزيد ولا ينقص، وقوله ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أي طاقتها رفعاً للحرج عن المسلم في الكيل والوزن إذا هو نقص أو زاد بغير عمد ولا تساهل .

وقوله تعالى ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا[3] ولو كان ذا قربى ﴾ هذا المحرم الثالث وهو قول الزور وشهادة الزور، إذ الأمر بالعدل في القول ولو كان المقول له أو فيه قريباً نهى عن ضده وهو الجور في القول .

وقوله تعالى ﴿ وبعهد[4] الله أوفوا ﴾ متضمن للمحرم الرابع وهو نكث العهد وخلف الوعد، إذ الأمر بالوفاء بالعهود نهيٌ عن نكثها وعدم الوفاء بها، وقوله تعالى ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ إشارة إلى ماتضمنته هذه الآية الثانية مما حرم تعالى على عباده، وقوله ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي ليعدكم بذلك لأن تذكروا فتتعظوا فتجتنبوا ماحرم عليكم .
وقوله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ هذه هي الآية الثالثة من آيات الوصايا العشر[5] وقد تضمنت

---

(١) لأن الرشد لا يكون إلا مع العقل والله يقول فإن آنستم منهم رشداً والرشد مقابل السفه وهو إساءة التصرف فيما اسند إليه من مال وغيره .
(٢) ورد في التطفيف وعيد شديد قال تعالى ويل للمطففين ، وقال الرسول ﷺ «ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق» .
(٣) الأمر بالعدل في القول يتناول الأحكام والشهادات .
(٤) هذا الوفاء عام في كل ما عهد الله تعالى به إلى عباده من سائر الفرائض والواجبات وسائر التكاليف كما يتضمن العهود التي تكون بين الإنسان وأخيه الإنسان .
(٥) هذه الوصايا العشر موجودة في أول التوراة ومع الأسف أضاعها اليهود لشقائهم .

الأمر بالتزام الإسلام عقائداً وعبادات وأحكاماً وأخلاقاً وآداباً، كما تضمنت النهي عن اتباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسبل، ومادام الأمر بالتزام الاسلام يتضمن النهي عن ترك الاسلام فقد تضمنت الآية تحريمًا ألا وهو ترك الإسلام واتباع غيره هذا الذي حرم الله تعالى على عباده لا ماحرمه المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم وقوله تعالى: ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ إشارة إلى التزام الإسلام وترك ماعداه ليعدكم بذلك للتقوى وهي إتقاء غضب الرب تعالى وعذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ هذه الوصايا العشر عليها مدار الاسلام وسعادة الإنسان في الدارين كان عبدالله بن مسعود يقول فيها «من سره أن ينظر إلى وصية رسول الله التي عليها خاتمه فليقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام: ﴿ قل تعالوا .... تتقون ﴾.

٢ ـ حرمة الشرك وحقوق الوالدين وقتل الأولاد والزنى واللواط وكل قبيح من قول أو عمل أو اعتقاد وقتل النفس إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، وقول الزور وشهادة الزور، ونكث العهد وخلف الوعد. والردة عن الإسلام، واتباع المذاهب الباطلة والطرق الضالة.

٣ ـ كمال العقل باجتناب المحرمات الخمس الأولى.

٤ ـ الحصول على ملكة المراقبة باجتناب المحرمات الأربع الثانية.

٥ ـ النجاة من النار والخزي والعار في الدارين بالتزام الاسلام حتى الموت والبراءة من غيره من سائر المذاهب[1] والملل والطرق.

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ

(١) روى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال هذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها. ثم قرأ هذه الآية قل هذه سبيلي. وهذه صورة تقريبية.

شياطين البدع

شياطين البدع

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

شرح الكلمات :

الكتاب : التوارة .

وتفصيلاً لكل شيء : تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها وأحكامها .

وهذا كتاب أنزلناه : القرآن الكريم .

مبارك : خيريته ونفعه وبركته دائمة .

على طائفتين من قبلنا : اليهود والنصارى .

عن دراستهم : أي قراءتهم لكتبهم لأنها بلسانهم ونحن لانفهم ذلك .

وصدف عنها : أعرض عنها ولم يلتفت إليها .

سوء العذاب : أي سيء العذاب وهو أشده .

معنى الآيات :

هذا الكلام متصل بما قبله ، فثم[1] حرف عطف والمعطوف عليه هو قل تعالوا أتل الآيات أي ثم قل يارسولنا آتى ربي موسي الكتاب تماماً لنِعَمِه ﴿على الذي أحسن﴾ طاعة ربه وهو

---

(١) قال الزجاج : ثم ها هنا للعطف على معنى التلاوة ، فالمعنى اتل ما حرم ربكم عليكم . ثم أتل عليكم ما آتى الله موسى الخ . فهي إذاً لعطف الجُمل وما كان لعطف الجمل فلا يراعى فيه تراخي الزمان .

موسى عليه السلام، ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ مما تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها، وعباداتها وأحكامها العامة والخاصة ﴿وهدي﴾ يتبينون به الحق والصواب، ﴿ورحمة﴾ لهم في دنياهم لما يحمله من الدعوة إلى العدل والخير رجاء أن يوقنوا بلقاء ربهم.

هذا مادلت عليه الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم[1] ﴾ أي بني إسرائيل ﴿يؤمنون﴾ فيعملون الصالحات ويتخلون عن المفاسد والشرور لما تجلبه لهم من غضب الله تعالى وعذابه.

أما الآية الثانية (١٥٥) فقد أشاد الله تعالى بالقرآن الكريم ممتناً بإنزاله وما أودع فيه من البركة التي ينالها كل من يؤمن به ويعمل به ويتلوه تعبداً وتقرباً وتعلماً.

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ وقوله ﴿ فاتبعوه[2]. . . . ﴾ أمر للعباد باتباع ماجاء في القرآن الكريم من عقائد وعبادات وشرائع وأحكام فإن من اتبعه قاده إلى السعادة والكمال في الحياتين، وقوله ﴿ واتقوا[3] لعلكم ترحمون ﴾ أي اتقوا ترك العمل به ليعدكم ذلك الذي هو متابعة القرآن والتقوى للرحمة فترحمون في الدنيا والآخرة.

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ فمعناها: إن الله تعالى أنزل الكتاب على رسوله محمد ﷺ وأمره بتلاوته وإبلاغه الناس لئلا يقول الكافرون من العرب إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى والمراد بالكتاب التوارة والإنجيل، ﴿ وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ إذ لم نعرف لغتهم، ولم نعرف ما يقرأونه في كتابهم، فتقوم الحجة لكم علينا فقطعاً لهذه الحجة أنزلنا الكتاب.

وقوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ كما قطع تعالى عذرهم بإنزال كتابه الكريم لو قالوا يوم القيامة إنما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى ونحن لم ينزل إلينا شيء فلذا ما عرفنا ربنا ولا عرفنا محابه ومكارهه فنطيعه بفعل محابه وترك مكارهه، قطع كذلك عذرهم لو قالوا

(١) أي رجاء أن يؤمنوا بلقاء ربهم.
(٢) أي اعملوا بما فيه متتبعين ما فيه من أوامر ونواه تفعلون الأمر وتتركون النهي.
(٣) أي اتقوا تحريفه وتبديله كما فعلت اليهود.

لو أنا أنزل علينا الكتاب الهادي إلى الحق المعرف بالهدى لكنا أهدى من اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب قبلنا، فقال تعالى ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ وهو القرآن الكريم ورسوله المبلغ له ﴿وهدى ورحمة﴾ أي وجاءكم الهدى والرحمة يحملهما القرآن الكريم، فأي حجة بقيت لكم تحتجون بها عند الله يوم القيامة إنكم إن لم تقبلوا هذه البينة وما تحمله من هدى ورحمة فقد كذبتم بآيات الله وصدفتم عنها ولا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها، وسيجزيكم بما يجزي به المكذبين بآيات الله الصادفين عنها.

هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (١٥٧) ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ أي كراهية أن تقولوا. ﴿ فقد جاءكم بينة[١] من ربكم وهدى[٢] ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان منة الله تعالى على موسى عليه السلام والثناء عليه لإحسانه.

٢ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.

٣ ـ الإشادة بالقرآن الكريم، وما أودع الله فيه من البركة والهدى والرحمة والخير

٤ ـ قطع حجة المشركين بإنزال الله تعالى كتابه وإرسال رسوله محمد ﷺ.

٥ ـ التنديد[٣] بالظلم، وبيان جزاء الظالمين المكذبين بآيات الله المعرضين عنها.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟

---

(١) أي بطل عذركم بمجيء النبي الأمي ﷺ لكم وهو البيّنة وسمي بينة لكماله الخلقي والخلقي ولما معه من العلوم والمعارف الإلهية وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب.

(٢) الهدى والرحمة المراد بهما ما في القرآن الكريم من هدى ورحمة للمؤمنين بقرينة. فمن أظلم ممن كذب بآيات الله.

(٣) وفي الحديث الصحيح: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». وفي آخر الظلم بذر الديار بلاقع أي قفراً خالية.

إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

شرح الكلمات :

بعض آيات ربك : أي علامات الساعة منها طلوع الشمس من مغربها.

كسبت في إيمانها خيراً : من الطاعات والقربات.

فرقوا دينهم : جعلوه طرائق ومذاهب تتعادى.

وكانوا شيعاً : طوائف وأحزاباً.

من جاء بالحسنة : أي أتى يوم القيامة بالحسنة التي هي الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والعمل بطاعته وطاعة رسوله.

ومن جاء بالسيئة : أي بالشرك بالله ومعاصيه.

معنى الآيات :

بعد ذكر الحجج وإنزال الآيات التي هي أكبر بينة على صحة التوحيد وبطلان الشرك، والعادلون بربهم الأصنام مازالوا في موقفهم المعادي للحق ودعوته ورسوله فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ هل ينظرون .... ﴾ أي ماينتظرون ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتي ربك﴾ يوم القيامة لفصل القضاء، ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ الدالة على قرب الساعة كطلوع الشمس من مغربها، إن موقف الإصرار على التكذيب هو موقف المنتظر لما ذكر تعالى من الملائكة ومجيء الرب تعالى أو مجيء علامات الساعة للفناء. وقوله تعالى ﴿ يوم يأتي بعض آيات[1] ربك ﴾ الدالة على قرب الساعة وهي طلوع الشمس من

(١) الآيات بمعنى العلامات الدالة على قرب الساعة الكبرى منها عشر جاءت في حديث مسلم إذ روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات. طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم، وخروج الدجال وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب. وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا.

مغربها إيذاناً بقرب ساعة الفناء في هذه الحال يخبر تعالى أن نفساً لم تكن آمنت قبل ظهور هذه الآية لو آمنت بعد ظهورها لا يقبل منها إيمانها ولا تنتفع به لأنه أصبح إيماناً اضطرارياً لا اختيارياً، كما أن نفساً آمنت به قبل الآية، ولكن لم تكسب في إيمانها خيراً وأراد ت أن تكسب الخير فإن ذلك لاينفعها فلا تثاب عليه، لأن باب التوبة مفتوح إلى هذا اليوم وهو يوم[1] طلوع الشمس من مغربها فإنه يغلق

وقوله تعالى ﴿ قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ يأمر الله رسوله أن يقول لأولئك العادلين بربهم المصرين على الشرك والتكذيب: مادمتم منتظرين انتظروا إنا منتظرون ساعة هلاككم فإنها آتية لا محالة.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٨) أما الآيتان بعدها فإن الله تعالى أخبر رسوله بأن الذين فرقوا دينهم[2] وكانوا شيعاً أي طوائف وأحزاباً وفرقاً مختلفة كاليهود والنصارى، ومن يبتدع من هذ الأمة بدعاً فيتابع عليها فيصبحون فرقاً وجماعات ومذاهب مختلفة متطاحنة متحاربة هؤلاء ﴿لست منهم في شيء﴾ أي أنت بريء منهم، وهم منك بريئون، وإنما أمرهم إلى الله تعالى هو الذي يتولى جزاءهم فإنه سيجمعهم يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون من الشر والخير ﴿من جاء بالحسنة فلـــــه عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ، وهم لايظلمون﴾ من قبلنا فلا ننقص المحسن منهم حسنة من حسناته ، ولا نضيف إلى سيئآته سيئة ماعملها، هذا حكم الله فيهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ إثبات صفة الإتيان في عرصات القيامة للرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

٢ ـ تقرير أشراط الساعة وإن طلوع الشمس منها وأنها متى ظهرت أغلق باب التوبة.

٣ ـ حرمة الفرقة في الدين وأن اليهود والنصارى فرقوا دينهم وأن أمة الإسلام أصابتها الفرقة كذلك بل وهي أكثر لحديث وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة.

---

(١) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها» فذلك ﴿حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾.

(٢) قرىء فارقوا دينهم أي تركوه وتخلوا عنه وقراءة الجمهور فرّقوا بالتضعيف حيث أصبح لكل فرقة اعتقاد وعمل خاص بها ومن فرّق فقد فارق أحب أم كره.

٤ ـ براءة الرسول ﷺ ممن فرقوا دينهم وترك الأمر لله يحكم بينهم بحكمه العادل.

٥ ـ مضاعفة الحسنات، وعدم مضاعفة السيئات عدل من الله ورحمة.

قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

شرح الكلمات :

قيماً[1] : أي مستقيماً.

ملة إبراهيم : أي دين إبراهيم وهو الإسلام.

حنيفاً : مائلاً عن الضلالة إلى الهدى.

ونسكي : ذبحي تقرباً إلى الله تعالى.

ومحياي : حياتي.

أبغي رباً أطلب رباً: إلهاً معبوداً أعبده.

ولا تزر وازرة أي لا تحمل نفس وازرة أي آثمة.

وزر أخرى : أي إثم نفس أخرى.

(١) قيما مصدر على وزن شِبَع وصف به المنصوب وهو ديناً ومعناه مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام.

خلائف الأرض : أي يخلف بعضكم بعضاً جيل يموت وآخر يحيا إلى نهاية الحياة.

ليبلوكم فيما آتاكم : أي ليختبركم فيما أعطاكم من الصحة والمرض والمال والفقر والعلم والجهل.

معنى الآيات:

في هذه الآيات وهي خاتمة هذه السورة التي بلغت آياتها بضعاً وستين ومائة آية وكانت كلها في الحجاج مع العادلين بربهم وبيان طريق الهدى لهم لعلهم يؤمنون فيوحدون ويسلمون. في هذه الآيات أمر الله رسوله أن يعلن عن مفاصلته لأولئك المشركين فقال له ﴿ قل إن صلاتي ونسكي[1] ﴾ أي ما أذبحه تقرباً إلى ربي، ﴿ ومحياي ﴾ أي ما آتيه في حياتي ﴿ ومماتي ﴾ أي ما أموت عليه من[2] الطاعات والصالحات ﴿لله رب العالمين ﴾ وحده ﴿ لا شريك له وبذلك أمرت﴾ أي أمرني ربي سبحانه وتعالى، ﴿وأنا أول المسلمين﴾ لا يسبقني أحد أبداً. كما أمره أن ينكر على المشركين دعوتهم إليه ﷺ لأن يعبد معهم آلهتهم، ليعبدوا معه إلهه وقال: ﴿قل أغير الله أبغي رباً﴾ أي أطلب إلهاً، ﴿وهو رب كل شيء﴾ أي مامن كائن في هذه الحياة إلا والله ربه أي خالقه ورازقه، وحافظه، وأعلمه أنه لا تكسب نفس من خير إلا وهو لها، ولا تكسب من شر إلا عليها، وأنه ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس مذنبة أخرى، وأن مرد الجميع إلى الله تعالى ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي ويقضي بينكم فينجو من ينجو ويهلك من يهلك، كما أخبره أن يقول: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ أي يخلف بعضكم بعضاً هذا يموت فيورث، وهذا الوارث يموت فيورث، وقوله ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ أي هذا غنى وهذا فقير، هذا صحيح وهذا ضرير هذا عالم وذاك جاهل، ثم علل تعالى لتدبيره فينا بقوله ﴿ليبلوكم﴾ أي يختبركم فيما آتاكم ليرى الشاكر ويرى الكافر ولازم الابتلاء النجاح أو الخيبة فلذا قال ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ فيعذب الكافر ويغفر ويرحم الشاكر.

هداية الآيات:

---

(١) قيل المراد من الصلاة هنا صلاة العيد لمناسبة النسك وهو الذبح تقرباً وقيل صلاة نافلة والعموم أولى. وكذا النسك يطلق على الذبح تقرباً وهو مراد هنا ويطلق على سائر العبادات من الفرائض والنوافل لأن النسك هو التعبد.

(٢) وقال القرطبي في الآية وما أوصى به بعد وفاتي وهو حسن ويشهد له قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم.

من هداية الآيات :

١ ـ ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام .

٢ ـ مشروعية قول ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ في القيام للصلاة .

٣ ـ لا يصح طلب رب غير الله تعالى لأنه رب كل شيء .

٤ ـ عدالة الله تعالى تتجلى يوم القيامة .

٥ ـ عدالة الجزاء يوم القيامة .

٦ ـ تفاوت الناس في الغنى والفقر والصحة والمرض ، والبر والفجور وفي كل شيء مظهر من مظاهر تدبير الله تعالى في خلقه . ينتفع به الذاكرون من غير أصحاب الغفلة والنسيان .

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مكيـــة (٢)

وآياتها خمس ومائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾

(١) لحديث مسلم عن عليّ بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان اذا أقام الصلاة قال وجهت وجهي لله فاطر السموات . . الخ . الآية وفيه دعاء طويل ذكره القرطبي عند تفسير هذه الآية .

(٢) إلاّ قوله تعالى : ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ إلى قوله : ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم .﴾ . فإنها مدنيات .

شـــرح الكلمات :

المص : هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا : ألف لآم ميم صَادْ. والله أعلم بمراده بها.

كتاب : أي هذا كتاب.

حــــرج : ضيق.

وذكرى : تذكرة بها يذكرون الله وماعنده ومالديه فيقبلون على طاعته.

أولياء : رؤساؤهم في الشرك.

ما تذكرون : أي تتعظون فترجعون إلى الحق.

وكم من قرية : أي كثيراً من القرى.

بأسنا بياتا : عذابنا ليلاً وهم نائمون.

أو هم قائلون : أي نائمون بالقيلولة وهم مسترِيحون.

فما كان دعواهم : أي دعاؤهم إلا قولهم إنا كنا ظالمين.

معنى الآيات :

﴿المص﴾ في هذه الحروف إشارة إلى أن هذا القرآن تألف من مثل هذه الحروف المقطعة وقد عجزتم عن تأليف مثله فظهر بذلك أنه كلام الله ووحيه إلى رسوله فآمنوا به وقوله ﴿كتاب﴾ أي هذا كتاب ﴿أنزل إليك﴾ (١) يارسولنا ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي ضيق منه ﴿لتنذر به﴾ قومك عواقب شركهم وضلالهم، وتذكر به المؤمنين منهم ذكرى وقل لهم ﴿اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم﴾ من الهدى والنور، ﴿ولا تتبعوا من دونه﴾ أي من غيره ﴿أولياء﴾ (٢) لا يأمرونكم إلا بالشرك والشر والفساد، وهم رؤساء الضلال في قريش ﴿قليلاً ماتذكرون﴾ أي تتعظون فترجعون إلى الحق الذي جانبتموه ﴿وكم (٣) من قرية﴾ أي وكثيرا من القرى أهلكنا أهلها لما جانبوا الحق ولازموا الباطل ﴿فجاءها (٤) بأسنا (٥)﴾ أي عذابنا الشديد

---

(١) جملة : ﴿أنزل إليك﴾ يصح إعرابها في محل نعت لكتاب ويصح إعرابها في محل نصب حالاً من هذا كتاب نحو: (هذا بعلي شيخا) وإن لم يقدر لفظ هذا تعرب جملة حينئذٍ في محل رفع خبر كتاب، ويكون التنكير في كتاب للتعظيم وهو كالوصف فيسوغ الابتداء به وإن كان نكرة نحو قولهم : شرٌّ أهر ذا ناب.

(٢) قالت العلماء : كلٌ من رضي مذهبا فأهل ذلك المذهب أولياؤه، ومنع أولياء من الصرف لأنّ فيه ألف التأنيث.

(٣) كم : للتكثير كما أنّ ربّ للتقليل وهي في موضع رفع على الابتداء، والخبر جملة أهلكناها، والتقدير: وكثير من القرى أهلكناها.

(٤) ﴿فجاءها﴾ في حرف الفاء هنا إشكال لأنّ الإهلاك قد تمّ فما معنى مجيء البأس حينئذ؟ وعليه فليكن تقدير الكلام : وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

(٥) البأس : العذاب الآتي على النفس.

﴿بياتاً أو هم قائلون﴾ أي ليلاً أو نهاراً، فما كان دعاءهم[1] يومئذ إلا قولهم: ياويلنا إنا كنا ظالمين فاعترفوا بذنبهم، ولكن هيهات أن ينفعهم الاعتراف بعد معاينة العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ القرآن الكريم هو مصدر نذارة الرسول ﷺ وبشارته بما حواه من الوعد والوعيد، والذكرى والبشرى.

٢ ـ وجوب اتباع الوحي، وحرمة اتباع ما يدعو إليه أصحاب الأهواء والمبتدعة.

٣ ـ الاعتبار بما حل بالأمم الظالمة من خراب ودمار.

٤ ـ لا تنفع التوبة عند معاينة الموت أو العذاب.

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

أرسل إليهم : هم الأمم والأقوام.

فلنقصن عليهم بعلم : فلنخبرنهم بأعمالهم متتبعين لها فلا نترك منها شيئاً.

وما كنا غائبين : أي عنهم أيام كانوا يعملون.

الوزن يومئذ الحق : أي العدل.

فمن ثقلت موازينه : أي بالحسنات فأولئك هم المفلحون بدخول الجنة.

خسروا أنفسهم : بدخولهم النار والإصطلاء بها أبداً.

معايش : جمع معيشة بمعنى العيش الذي يعيشه الإنسان.

(١) الدعاء والدعوى بمعنى واحد ومنه: وآخر دعواهم أي: دعائهم.

قليلاً ماتشكرون : أي شكراً قليلاً والشكر ذكر النعمة للمنعم[١] وطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم[٢] ولنسألن المرسلين[٣]، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ يخبر تعالى أنه إذا جمع الخلائق لفصل القضاء مؤكداً الخبر بالقسم أنه يسأل كل أمة أو جماعة أو فرد أرسل إليهم رسله يسألهم عن مدى إجابتهم دعوة رسله إليهم، فهل آمنوا بما جاءتهم به الرسل، وأطاعوهم فيما بلغوهم من التوحيد والعبادة والطاعة والانقياد، كما يسأل الرسل أيضاً هل بلغوا ماائتمنهم عليه من رسالته المتضمنة أمر عباده بالإيمان به وتوحيده وطاعته في أمره ونهيه، ثم يقصُّ تعالى على الجميع بعلمه كل ما كان منهم من ظاهر الأعمال وباطنها، ولا يستطيعون إخفاء شيء أبداً، ولم يكن سؤاله لهم أولاً، إلا من باب إقامة الحجة وإظهار عدالته سبحانه وتعالى فيهم، ولتوبيخ من يستحق التوبيخ منهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ عنهم حينما كانوا في الدنيا يعملون فكل أعمالهم كانت مكشوفة ظاهرة له تعالى ولا يخفى عليه منها شيء وهو السميع البصير.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٦) والثانية (٧) أما الآيتان الثالثة والرابعة فقد أخبر تعالى أنه بعد سؤالهم وتعريفهم بأعمالهم ينصب الميزان وتوزن[٤] لهم أعمالهم فمن ثقلت موازين حسناته أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة دار السلام ومن خفّت لقلة حسناته وكثرة سيئاته[٥] خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي، وعلل تعالى لهذا الخسران في جهنم

---

(١) وحده والثناء بها عليه.

(٢) في الآية دليل على أنّ الكفار يحاسبون وإن لم توزن أعمالهم لقوله تعالى ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ فمحاسبتهم لإظهار العدالة الإلهية لا لأن لهم أعمالاً صالحة يجزون بها والله أعلم.

(٣) ويشهد لهذه المساءلة قوله ﷺ في الصحيح: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام يسأل عن رعيته، والرجل يسأل عن أهله، والمرأة تسأل عن بيت زوجها، والعبد يسأل عن مال سيده).

(٤) هنا زلت أقدام المعتزلة فأوّلوا الوزن للأعمال والميزان وقالوا: الأعراض لا توزن، ولو اتبعوا لأوّلوا الميزان بالصراط والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجنّ على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة وهكذا حتى لا يبقى للدين حقيقة والعياذ بالله من فساد القلوب والعقول ومن الجري وراء فلسفة الإغريق واليونان.

(٥) ورد في السنة الصحيحة أنّ الأعراض تحوّل إلى أجسام وتوزن كما في حديث: أنّ البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة وكأنهما غمامتان. الحديث، كما توزن صحائف الأعمال لحديث: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) وحديث: (يؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة) وبهذا تقرر أنّ الأعمال توزن وتوزن محالها وفاعلوها والله على ذلك قدير.

بقوله ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ أي يكذبون ويجحدون، وأطلق الظلم وأريد به التكذيب والجحود لأمرين هما:

أولاً: اكتفاء بحرف الجر الباء إذ لا تدخل على ظلم ولكن على كذب أو جحد يقال كذب به وجحد به ولا يقال ظلم به ولكن ظلمه وهذا من باب التضمين وهو سائغ في لغة العرب التي نزل بها القرآن.

وثانيا: أنهم بدل أن يؤمنوا بالآيات وهي واضحات كذبوا بهافكانوا كأنهم ظلموا الآيات ظلمًا حيث لم يؤمنوا بها وهي بينات.

هذا مادلت عليه الآيتـان أما الآية الخامسة (١٠) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على عباده، وكان المفروض أن يشكروا نعمه عليهم بالإيمان به وتوحيده وطاعته، ولكن الذي حصل هو عدم الشكر من أكثرهم قال تعالى ﴿ ولقد مكناكم في الأرض ﴾ حيث جعلهم متمكنـين في الحياة عليها يتصرفون فيها ويمشون في مناكبها، وقوله ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾[1] هذه نعمة أخرى وهي أن جعل لهم فيها معايش وأرزاقاً يطلبونها فيها ويحصلون عليها وعليها قامت حياتهم، وقوله ﴿قليلاً ماتشكرون﴾ أي لا تشكرون إلا شكراً يسيراً لا يكاد يذكر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والسؤال والحساب ووزن الأعمال يوم القيامة.

٢ ـ صعوبة الموقف حيث تسأل الأمم والرسل عليهم السلام كذلك.

٣ ـ الفلاح والخسران مبنيان على الكسب في الدنيا فمن كسب خيراً نجا، ومن كسب شراً هلك.

٤ ـ وجوب شكر النعم بالإيمان والطاعة لله ورسوله.

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟

---

(١) المعايش: جمع معيشة، والمعيشة: ما يتوصل به إلى العيش الذي هو الحياة من المطاعم والمشارب. والتمكين في الأرض: معناه جعلها قارة ممهدة لا تضطرب ولا تتحرك فيفسد ما عليها.

لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ
وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ
صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ
وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات:

خلقناكم ثم صورناكم : أي خلقنا أباكم آدم أي قدرناه من الطين ثم صورناه على الصورة البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود الإنساني.

فسجدوا : أي سجود تحية لآدم عليه السلام.

إبليس : أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة، وهو الشيطان الرجيم.

فاهبط منها : أي من الجنة.

من الصاغرين : جمع صاغر الذليل المهان.

فبما أغويتني : أي فبسبب إضلالك لي.

مذموماً مدحوراً : ممقوتاً مذموماً مطروداً.

معنى الآيات:

مازال السياق في تعداد أنعم الله تعالى على عباده تلك النعم الموجبة لشكره تعالى بالإيمان

به وطاعته فقال تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم[1] ﴾ أي خلقنا أباكم آدم من طين ثم صورناه بالصورة البشرية التي ورثها بنوه عنه، ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وفي هذا إنعام آخر وهو تكريم أبيكم آدم بأمر الملائكة بالسجود له تحية له وتعظيما ﴿فسجدوا إلا إبليس[2] لم يكن من الساجدين﴾ أي أبى وامتنع أن يسجد، فسأله ربه تعالى قائلا: ﴿ما منعك ألا تسجد[3] إذ أمرتك﴾ أي أي شيء جعلك لا تسجد فأجاب إبليس قائلا: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار، وخلقته من طين﴾ فأنا أشرف منه فكيف أسجد له، ولم يكن إبليس مصيباً في هذه القياس[4] الفاسد أولاً: ليست النار أشرف من الطين بل الطين أكثر نفعاً وأقل ضرراً، والنار كلها ضرر، وما فيها من نفع ليس بشيء إلى جانب الضرر وثانيا: إن الذي أمره بالسجود هو الرب الذي تجب طاعته سواء كان المسجود له فاضلاً أو مفضولاً، وهنا أمره الرب تعالى أن يهبط من الجنة فقال ﴿اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أي الذليلين الحقيرين، ولما وقع إبليس في ورطته، وعرف سبب هلكته وهو عدم سجوده لآدم قال للرب تبارك وتعالى ﴿انظرني﴾ أي أمهلني لا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فأجابه الرب بقوله ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وهو فناء هذه الدنيا فقط وذلك قبل البعث، جاء هذا الجواب في سورة الحجر وهنا قال ﴿ إنك من المنظرين ﴾ ومراد إبليس في الإمهال التمكن من إفساد أكبر عدد من بني آدم انتقاماً منهم إذ كان آدم هو السبب في طرده من الرحمة، ولما أجابه الرب إلى طلبه قال: ﴿ فبما أغويتني ﴾ أي أضللتني ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ يريد آدم وذريته، والمراد من الصراط الإسلام إذ هو الطريق المستقيم والموصل بالسالك له إلى رضوان الله تعالى ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم[5] ومن خلفهم وعن

---

(١) ويصح أن يقال: خلقناكم نطفاً ثم صورناكم، وما في التفسير أولى بالآية وأصح بدليل قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾.

(٢) استثناء من غير الجنس إذ إبليس من الجنّ ولم يكن من الملائكة.

(٣) ﴿ما منعك﴾ ما: في موضع رفع بالابتداء فهي اسم استفهام والتقدير أي شيء منعك من السجود، وأن المصدرية مدغمة في لا الزائدة بدليل عدم زيادتها في [ص] إذ قال: ﴿ما منعك أن تسجد﴾ أي: من السجود لآدم.

(٤) قال ابن عباس والحسن: أوّل من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى مع إبليس. قال العلماء: من جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والأناة ولهذا تاب آدم، ومن جوهر النار الخفة والحدة والطيش والارتفاع ولذا لم يتب إبليس.

(٥) معناه: لأصدنّهم عن الحق، وأرغبهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة وهذا غاية الضلال، وقال بعضهم: المراد من قوله: ﴿من بين أيديهم﴾ من دنياهم ﴿ومن خلفهم﴾ من آخرتهم، ﴿وعن أيمانهم﴾ يعني حسناتهم ﴿وعن شمائلهم﴾ يعني سيئاتهم.

أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ يريد يحيط بهم فيمنعهم سلوك الصراط المستقيم حتى لا ينجوا ويهلكوا كما هلك هو زاده الله هلاكاً، وقوله ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ هذا قول إبليس للرب تعالى، ولا تجد أكثر أولاد آدم الذي أضللتني بسببه شاكرين لك بالإيمان والتوحيد والطاعات.

وهنا أعاد الله أمره بطرد اللعين فقال ﴿اخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿مذموماً مدحوراً﴾ أي ممقوتاً مطروداً ﴿ لمن تبعك[1] منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ أي فبعزتي لأملأن جهنم منك وممن اتبعك منهم أجمعين.

هـداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ ـ خطر الكبر على الإنسان.

٢ ـ ضرر القياس[2] الفاسد.

٣ ـ خطر إبليس وذريته على بني آدم، والنجاة منهم بذكر الله تعالى وشكره.

٤ ـ الشكر هو الإيمان والطاعة لله ورسوله ﷺ.

وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا

---

(١) اللام في ﴿لمن﴾ موطئة للقسم، واللام في ﴿لأملأنّ﴾ في جواب القسم والتقدير: وعزتي من تبعك منهم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين.

(٢) القياس من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة مشروع محمود لأنّه اعتصام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإنّما المذموم المحرّم: القياس على غير أصل من هذه الأصول الثلاثة: الكتاب، السنة، الإجماع، وهذا علي ابن أبي طالب لما قال له أبو بكر رضي الله عنهما أقيلوني بيعتي فقال عليّ: والله لا نقيلك ولا نستقيلك رضيك رسول الله ﷺ على دنيانا افلا نرضاك لديننا فقاس الإمامة على الصلاةلله، وقاس أبو بكر الزكاة على الصلاة.

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

شـــرح الكلمـات :

وزوجك : هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

الجنــة : دار السلام التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

من الظالمين : أي لأنفسهم.

فوسوس : الـوسوسة: الصوت الخفي، ووسوسة[1] الشيطان لابن آدم إلقاء معانٍ فاسدة ضارة في صدره مزينة ليعتقدها أو يقول بها أو يعمل.

ليبدي[2] لهما ماووري: ليظهر لهما ماستر عنهما من عوراتهما.

وقاسمهما : حلف لكل واحد منهما.

فدلاهما بغرور : أي أدناهما شيئاً فشيئاً بخداعه وتغريره حتى أكلا من الشجرة.

وطفقا يخصفان : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما.

معنى الآيات:

ولما طرد الرحمن إبليس من الجنة نادى آدم قائلاً له ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك﴾ أي حواء ﴿الجنة فكلا من حيث شئتما﴾ يعني من ثمارها وخيراتها، ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أشار لهما إلى شجرة من أشجار الجنة معينة، ونهاهما عن الأكل منها، وعلمهما أنهما إذا أكلا منهـا كانا من الظالمين المستوجبين للعقاب، واستغل إبليس هذه الفرصة التي أتيحت له فوسوس[3] لهما مزيناً لهما الأكل من الشجرة قائلاً لهما ﴿مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن

---

(١) الوسواس اسم للشيطان أيضا قال تعالى: ﴿من شر الوسواس الخناس﴾.

(٢) اللام: لام العاقبة والصيرورة.

(٣) ذهب الأولون مذاهب في تحديد كيفية اتصال إبليس بآدم وحوارهما في الجنة وهو خارج منها حتى وسوس لهما فأكلا من الشجرة التي لم يأذن الله تعالى لهما في الأكل منها إلا أن المخترعات الحديثة بيّنت لنا كيفية ذلك الاتصال وبيانه: انّ الإنسان في نفسه قابلية لتلقي الوسواس أشبه ما تكون بجهاز اللاسلكي بواسطتها يتم الاتصال بين الإنسان وعدّوه إبليس وذريته

تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ ﴿وقاسمهما﴾ أي حلف لهما أنه ناصح[1] لهما وليس بغاش لهما، ﴿فدلاهما بغرور﴾ وخداع حتى أكلا ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت. . .﴾ أي ظهرت لهما سوءاتهما[2] حيث انحسر النور[3] الذي كان يغطيهما، فجعلا يشدان من ورق الجنة على أنفسهما ليستر عوراتهما، وهو معنى قوله تعالى ﴿وطفقا يخصفا عليهما من ورق الجنة﴾ وعندئذ ناداهما ربهما سبحانه وتعالى قائلاً: ألم أنهكما عن هذه الشجرة وهو استفهام تأديب وتأنيب، ﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ فكيف قبلتما نصحه وهو عدوكما.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ ـ سلاح إبليس الذي يحارب به ابن آدم هو الوسوسة والتزيين لا غير.

٢ ـ تقرير عداوة الشيطان للإنسان.

٣ ـ النهي يقتضي التحريم إلا أن توجد قرينة تصرف عنه إلى الكراهة.

٤ ـ وجوب ستر العورة من الرجال والنساء سواء.

٥ ـ جواز الاقسام بالله تعالى، ولكن لا يحلف إلا صادقاً.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

شـرح الكلمات:

ظلمنا أنفسنا : أي بأكلهما من الشجرة.

الخاسرين : الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها.

---

(١) قال قتادة: حلف لهما بالله أنه خلق قبلهما وأنه أعلم منهما وحلف أنه ناصح لهما فانغرا به، على حد قول العلماء: مَنْ خدعنا بالله انخدعنا له.

(٢) سُمي الفرجان سوأتين وعورة لأن السوءة مشتقة مما يسيء إلى النفس بالألم والعورة هي كل ما استحيي من كشفه.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تقلّص النور الذي كان لباسهما فصار أظفاراً في الأيدي والأرجل. والله أعلم.

مستقر : مكان استقرار وإقامة .

متاع إلى حين : تمتع بالحياة إلى حين انقضاء آجالكم .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن آدم عليه السلام، أنه لما ذاق آدم وحواء الشجرة وبدت لهما سؤاتهما وعاتبهما ربهما على ذلك قالا معلنين عن توبتهما : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا[1]﴾ أي بذوق الشجرة ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ أي خطيئتنا هذه ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ أي الهالكين، وتابا فتاب الله تعالى عليهما وقال لهم اهبطوا إلى الأرض إذ لم تعد الجنة في السماء داراً لهما بعد ارتكاب المعصية، إن إبليس عصا بامتناعه عن السجود لآدم، وآدم وحواء بأكلهما من الشجرة وقوله ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أي اهبطوا إلى الأرض[2] حال كون بعضكم لبعض عدواً، إبليس وذريته عدو لآدم وبنيه، وآدم وبنوه عدو لإبليس وذريته، ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي مقام استقرار، ﴿ ومتاع إلى حين﴾ أي تمتع بالحياة إلى حين انقضاء الآجال وقوله تعالى ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون[3]﴾ يريد من الأرض التي أهبطهم إليها وهي هذه الأرض التي يعيش عليها بنو آدم، والمراد من الخروج الخروج من القبور إلى البعث والنشور.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ قول آدم وحواء :﴿ربنا ظلمنا أنفسنا . . ﴾ الآية هو الكلمة التي ألقاها تعالى إلى آدم فتلقاها عنه فتاب عليه بها .

٢ ـ شرط التوبة الاعتراف بالذنب وذلك بالاستغفار أي طلب المغفرة .

٣ ـ شؤم الخطيئة كان سبب طرد إبليس من الرحمة، وإخراج آدم من الجنة .

٤ ـ لا تتم حياة للإنسان على غير الأرض، ولا يدفن بعد موته في غيرها لدلالة آية ﴿فيها تَحْيَوْنَ وفيها تموتون ومنها تُخْرجون﴾ .

---

(١) أي : يا ربنا، حذف حرف النداء لقربه منهما سبحانه وتعالى إذ يُنادى بحرف النداء البعيد .

(٢) قال ابن كثير : لو كان في تعيين الأماكن التي هبط فيها آدمَ وحواء وإبليس فائدة تعود على المكلّفين في دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى .

(٣) أي : للحساب والجزاء على الكسب في الدنيا من خير وشرّ.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا
يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ
إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾

شرح الكلمات :

وريشاً [1] : لباس الزينة والحاجة.

يواري سوءاتكم : يستر عوارتكم.

لباس التقوى : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق.

من آيات الله : دلائل قدرته.

لايفتننكم : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في الملكوت الأعلى.

أبويكم : آدم وحواء.

قبيله : جنوده من الجن.

فاحشة : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة.

---

(١) الريش للطائر ما يستر جسمه، وللإنسان اللّباس وجمعه رياش وهو ما كان فاخراً من أنواع الألبسة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ يا بني[1] آدم قد أنزلنا[2] عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ﴾ هذا النداء الكريم المقصود منه تذكير للمشركين من قريش بنعم الله وقدرته عليهم لعلهم يذكرون فيؤمنون ويسلمون بترك الشرك والمعاصي، من نعمه عليهم أن أنزل عليهم لباساً يوارون به سوءاتهم، ﴿وريشاً﴾ لباساً يتجملون به، في أعيادهم ومناسباتهم، ثم أخبر تعالى أن لباس التقـوى خير لصاحبه من لباس الثياب، لأن المتقي عبد ملتزم بطاعة الله ورسوله، والله ورسوله يأمران بستر العورات، ودفع الغائلات، والمحافظة على الكرامات، ويأمران بالحياء، والعفة وحسن السمت ونظافة الجسم والثياب[3] فأين لباس الثياب مجردة عن التقوى من هذه؟؟.

وقوله تعالى ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي من دلائل قدرته الموجبة للإيمان به وطاعته، وقوله ﴿لعلهم يذكرون﴾ أي رجاء أن يذكروا هذه النعم فيشكروا بالإيمان والطاعة.

هذا مادلت عليه الآية الأولى (٢٦) وفي الآية الثانية (٢٧) ناداهم مرة ثانية فقال ﴿يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما[4] سوءاتهما﴾ يحذرهم من إغواء الشيطان لهم مذكراً إياهم بما صنع مع أبويهما من إخراجهما[5] من الجنة بعد نزعه لباسهما عنهما فانكشفت سوءاتهما الأمر الذي سبب إخراجهما من دار السلام، منبهاً لهم على خطورة العدو من حيث أنه يراهم هو وجنوده، وهم لايرونهم. ثم أخبر تعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لايؤمنون، وذلك حسب سنته في خلقه، فالشياطين يمثلون قمة الشر والخبث، فالذين لا يؤمنون قلوبهم مظلمة لا نعدام نور الإيمان فيها فهي متهيئة

---

(١) ابتداء الخطاب بالنداء الحكمة منه ليقع إقبال المنادين على ما بعد النداء بكل قلوبهم.

(٢) إنزال اللّباس من السماء يعود لأمور منها: أن آدم أوّل من ستر عورته بورق التين من شجر الجنة ومنها أنّ آدم نزل مكسوًا وورث عنه أولاده ذلك، ومنها أن الماء الذي به النبات ومنه يتخذ اللّباس كالقطن مثلا نزل من السماء وحتى ذوات الصوف والوبر حياتها متوقفة على ماء السماء.

(٣) قال الشاعر في لباس التقوى ما يلي:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى   تقلب عريانا وإن كان كاسيا
وخيـر لبـاس المر ء طاعة ربه   ولا خير فيمن كان لله عاصيـا

(٤) في هذه الآية دليل على حرص الشيطان على أن يكشف الأدمي عورته لما يسبب ذلك من الفسق والفجور الذين يرغب الشيطان في إيقاع الأدمي فيهما.

(٥) تكاد تكون هذه سنة بشرية لا تتخلّف إذ ما من أمّة تبرج نساؤها فكشفن محاسنهن وأبدين عوراتهن إلاّ أسرع إليها الهلاك بزوال الملك وذهاب السلطان.

لقبول الشياطين وقبول مايوسوسون به ويوحونه من أنواع المفاسد والشرور كالشرك والمعاصي على اختلافها، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين، وكبرهان على هذا الولاء بينهم أن المشركين إذا فعلوا فاحشة خصلة ذميمة قبيحة شديدة القبح ونهوا عنها احتجوا على فعلهم بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها، وأن الله تعالى أمرهم بها وهي حجة باطلة لما يلي

أولا: فعل آبائهم ليس ديناً ولا شرعاً.

ثانيا: حاشا لله تعالى الحكيم العليم أن يأمر بالفواحش إنما يأمر بالفواحش الذين يأتونها وهم الشياطين وأولياؤهم من الإنس ولهذا رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ ووبخهم معنفاً إياهم بقوله: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - التذكير بنعم الله تعالى المقتضي للشكر على ذلك بالإيمان والتقوى[1].

٢ - التحذير من الشيطان وفتنته لاسيما وأنه يرى الإنسان والإنسان لا يراه.

٣ - القلوب الكافرة هي الآثمة، وبذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين.

٤ - قبح الفواحش وحرمتها.

٥ - بطلان الاحتجاج بفعل الناس إذ لا حجة إلا في الوحي الإلهي.

٦ - تنزه الرب تعالى عن الرضا بالفواحش فضلاً عن الأمر بها.

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) ۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)

(١) الإيمان والتقوى بهما تحصل ولاية الرب للعبد، قال تعالى: ﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

شـــرح الكلمـات :

القســط[1] : العدل في القول والحكمة والعمل .

أقيموا وجوهكم : أي أخلصوا العبادة لله واستقبلوا بيته .

كما بدأكم تعودون : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت أحياء .

أولياء من دون الله : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة ، من غير الله تعالى .

زينتكم : أي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة .

ولا تسرفوا : في أكل ولا شرب ، والإسراف مجاوزة الحد المطلوب في كل شيء .

معنى الآيات :

مازال السياق في بيان أخطاء مشركي قريش فقد قالوا في الآيات السابقة محتجين على فعلهم الفواحش بأنهم وجدوا آباءهم على ذلك وأن الله تعالى أمرهم بها وأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال في هذه الآية (٢٩) ﴿قل﴾ يارسولنا ﴿أمر ربي بالقسط﴾ الذي هو العدل وهو الإيمان بالله ورسوله وتوحيد الله تعالى في عبادته ، وليس هو الشرك بالله وفعل الفواحش ، والكذب على الله تعالى بأنه حلل كذا وهو لم يحلل ، وحرم كذا وهو لم يحرم ، وقوله تعالى ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أي وقل لهم يارسولنا أقيموا وجوهكم عند كل مسجد[2] أي أخلصوا لله العبادة ، واستقبلوا بيته الحرام ، ﴿وادعوه﴾ سبحانه وتعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي ادعوه وحـده ولا تدعـوا معه أحداً قوله : ﴿كما بدأكم تعودون﴾ يذكرهم بالدار الآخرة والحياة الثانية ، فإن من آمن بالحياة بعد الموت والجزاء على كسبه خيراً أو شراً أمكنه أن يستقيم على العدل والخير طوال الحياة وقوله ﴿فريقاً هدى[3]، وفريقاً حق عليهم الضلالة[4]﴾ بيان لعدله وحكمتـه ومـظاهـر قدرته فهو المبدىء والمعيد والهادي والمضل ، له الملك المطلق والحكم

---

(١) القسط : العدل ، وهو وسط بين الشرك والإلحاد . ولذا قال ابن عباس : القسط : لا إله إلاّ الله أي : بأن يعبد الله وحده .

(٢) أي : في كل موضع للصلاة من سائر بقاع الأرض إذ موضع السجود هو المسجد وإقامة الوجوه بالذات معناه أن لا يلتفت بقلبه ولا بوجهه إلى غير الله تعالى وهو إخلاص العبادة لله عزّ وجلّ .

(٣) (فريقا) نصب على الحال من الضمير في تعودون أي : حال كونكم فريقين فريقاً مهدياً سعيداً ، وفريقاً وجبت عليه الضلالة فجاء الموقف ضالاً شقياً ، وقـال القرطبـي : مَن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيّره للضلالة ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى ، وشاهد قوله هذا آدم وإبليس فآدم مخلوق للهداية وابليس للضلالة .

(٤) أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كانت المرأة في الجاهلية تطوف بالبيت وهي عريانة وتقول : من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

الأوحد، فكيف يعدل به أصنام وأوثان هدى فريقاً من عباده فاهتدوا، وأضل آخرين فضلوا ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية وموالاتهم لأهل الغواية، ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ فضلوا ضلالاً بعيداً ﴿ويحسبون﴾ لتوغلهم في الظلام والضلال ﴿أنهم مهتدون﴾.

وقوله تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[1] أي البسوا ثيابكم عند الطواف بالبيت فلا تطوفوا عراة، وعند الصلاة فلا تصلوا وأنتم مكشوفوا العورات كما يفعل المشركون المتخذون الشياطين أولياء فأضلتهم حتى زينت لهم الفواحش قولاً وفعلاً واعتقاداً. وقوله: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا[2]﴾ أي كلوا مما أحل الله لكم واشربوا، ولا تسرفوا بتحريم ما أحل الله، وشرع ما لم يشرع لكم فالزموا العدل، فإنه تعالى لا يحب المسرفين فاطلبوا حبه بالعدل، واجتنبوا بغضه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

من هداية الآيات:

١- وجوب العدل في القول وفي الحكم.

٢- وجوب اخلاص العبادة صلاةً كانت أو دعاءً لله تعالى.

٣- ثبوت القدر.

٤- وجوب ستر العورة في الصلاة.

٥- حرمة الإسراف في الأكل والشرب وفي كل شيء.

---

(١) هذه الآية الكريمة أصل من أصول الدواء، إذ أمرت بالأكل والشرب وهما قوام الحياة وحرّمت الإسراف فيهما وهو سبب كافة الأمراض إذ قال رسول الله ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) وشاهد آخر أنه كان لهارون الرشيد طبيب نصراني قال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم أديان وعلم أبدان فقال له علي: قد جمع الله الطب كلّه في نصف آية من كتابنا فقال له ما هي؟ قال: قوله عز وجل ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

(٢) روي أن سمرة بن جندب رضي الله عنه سأل عن ابنه فقيل له: بشم البارحة؟ قال: بشم؟ قالوا: نعم قال: أما إنه لو مات ما صليت عليه، وقال العلماء: من الاسراف: الأكل بعد الشبع، وقال لقمان لابنه: يا بني لا تأكل شبعا فوق شبع فإنك إن تنبذه للكلب خير من أن تأكله.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ
سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

شـرح الكلمـات:

من حرم زينة الله : التحريم: المنع، والزينة: ما يتزين به من ثياب وغيرها.

والطيبات : جمع طيب وهو الحلال غير المستخبث.

خالصة : لا يشاركهم فيها الكفار لأنهم في النار.

الفواحش : جمع فاحشة والمراد بها هنا الزنى واللواط السري كالعلني.

والإثم : كل ضار قبيح من الخمر وغيرها من سائر الذنوب.

والبغي بغير الحق : الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل.

وأن تشركوا : أي الشرك بالله وهو عبادة غير الله تعالى.

السلطان : الحجة التي تثبت بها الحقوق المختلف فيها أو المتنازع عليها.

أجل : وقت محدد تنتهي إليه.

معنى الآيات:

لما حرم المشركون الطواف بالبيت بالثياب وطافوا بالبيت عراة بدعوى أنهم لا يطوفون بثياب عصوا الله تعالى فيها، أنكر تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قل من حرم زينة[1] الله التي

(١) الزينة: هنا الملبس الحسن من غير ما حرّم كالذهب والحرير على الرجال ويطلق لفظ الزينة أيضاً على مطلق اللباس ولو لم يكن حسناً.

أخرج لعباده والطيبات من الرزق[1]﴾ كلحوم ما حرموه من السوائب، فالاستفهام في قوله ﴿قل من حرم زينة الله﴾ للإنكار. ومعنى أخرجها: أنه أخرج النبات من الأرض كالقطن والكتان ومعادن الحديد لأن الدروع من الحديد، وقوله تعالى ﴿قل هي للذين[2] آمنوا في الحياة الدنيا﴾ بالأصالة، لأن المؤمنين علماء فيحسنون العمل والإنتاج والصناعة، والكفار تبع لهم في ذلك لجهلهم وكسلهم وعدم بصيرتهم، ﴿خالصةً[3] يوم القيامة﴾ أي هي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركهم فيها الكفار ولأنهم في دار الشقاء النار والعياذ بالله تعالى وقوله تعالى ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي كهذا التفصيل والبيان الذي بيناه وفصلناه في هذه الآيات ومازلنا نفصل ونبين ما ننزل من آيات القرآن الكريم لقوم يعلمون أما غيرهم من أهل الجهل والضلال فإنهم لا ينتفعون بذلك لأنهم محجوبون بظلمة الكفر والشرك ودخان الأهواء والشهوات والشبهات.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣٢) أما الآية الثانية (٣٣) فقد تضمنت بيان أصول المحرمات وأمهات الذنوب وهي: الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم: وهو سائر المعاصي بترك الواجب أو فعل الحرام والبغي: وهو الاستطالة على الناس والاعتداء عليهم بهضم حقوقهم وأخذ أموالهم وضرب أجسامهم وذلك بغير حق أوجب ذلك الاعتداء وسوغه كأن يعتدي الشخص فيقتص منه ويعاقب بمثل ماجنى وظلم، والشرك بالله تعالى بعبادة غيره، والقول على الله تعالى بدون علم منه وذلك كشرع ما لم يشرع بتحريم ما لم يحرم، وإيجاب ما لم يوجب.

هذا ما دلت عليه الآية الثانية أما الثالثة والأخيرة في هذا السياق (٣٤) فقد أخبر تعالى فيها أن لكل أمة أجلاً محدداً أي وقتاً معيناً يتم هلاكها فيه لا تتقدمه بساعة ولا تتأخر عنه بأخرى. وفي هذا إشارة أفصح من عبارة وهي أن هلاك الأمم والجماعات والأفراد يتم بسبب

---

(١) الطيبات: اسم عام لكل ما طاب كسبا وطعما وقد أكل الرسول ﷺ اللحم والعسل والحلوى والبطيخ والرطب، وإنما الذي يكره الإكثار منها والتكلف في شرائها وإعدادها، وعمر لم ينكر الطيبات وإنما أنكر الكثرة منها، فكان يرى عدم الجمع بين الطيبات ويكتفي بنوع واحد.

(٢) في الآية دليل على التجمل بأحسن الثياب وخاصة في الأعياد والجمع وزيارة الإخوان ومقابلة الوفود، وليس من السنة لبس المرقعات والفوط وليس معنى: ﴿ولباس التقوى﴾: أنه لباس الخشن والمرقعات أبداً وإنما هو تقوى الله بامتثال الأمر واجتناب النهي، وقد تقدم معناها، وفي الحديث الصحيح: (إنّ الله جميل يحب الجمال).

(٣) قرىء: ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي خالصة، وقرىء ﴿خالصةً﴾ بالنصب على الحال أي: ثابتة لهم في الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة.

انحرافهم عن منهج الحياة، كالمرء يهلك بشرب السم، وبإلقاء نفسه من شاهق، أو إشعال النار في جسمه كذلك ارتكاب أمهات الذنوب وأصول المفاسد التي ذكر تعالى في قوله ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش. . . . . ﴾ من شأنها أن تودى بحياة مرتكبيها لا محالة ما لم يتوبوا منها وتصلح حالهم بالعودة إلى منهج الحياة الذي وضع الله في الإيمان والتوحيد والطاعة لله ورسوله بفعل كل أمر وترك كل نهي.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الإنكار الشديد على من يحرم ما أحل الله من الطيبات **كبعض** المتنطعين[1].

٢ ـ المستلذات من الطعام والشراب والمزينات من الثياب وغيرها المؤمنون أولى بها من غيرهم لأنهم يحسنون العمل، ويبذلون الجهد لاستخراجها والانتفاع بها. بخلاف أهل الجهالات فإنهم عمي لا يبصرون ومقعدون لايتحركون. وإن قيل العكس هو الصحيح فإن أمم الكفر وأوربا وأمريكا هي التي تقدمت صناعياً وتمتعت بما لم يتمتع به المؤمنون؟ فالجواب: أن المؤمنين صرفوا عن العلم والعمل وأقعدوا عن الإنتاج والاختراع بإفساد أعدائهم لهم عقولهم وعقائدهم، فعوقوهم عن العمل مكراً بهم وخداعاً لهم. والدليل أن المؤمنين لما كانوا كاملين في إيمانهم كانوا أرقى الأمم وأكملها حضارة وطهارة وقوة وإنتاجاً مع أن الآية تقول ﴿ . . . لقوم يعلمون ﴾ فإذا حل الجهل محل العلم فلا انتاج ولا اختراع ولا حضارة.

٢ ـ بيان أصول المفاسد وهي الفواحش وما ذكر بعدها إلى ﴿ . . . . وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾.

٣ ـ ذكرت هذه المفاسد بطريق التدلي آخرها أخطرها وهكذا أخفها أولها.

٤ ـ أجل[2] الأمم كأجل الأفراد يتم الهلاك عند انتظام المرض كامل الأمة أو أكثر أفرادها كما يهلك الفرد عندما يستشري المرض في كامل جسمه.

---

(١) روى النسائي بسند صحيح قوله ﷺ: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده) وقال البخاري عن ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان، سرف، ومخيلة.

(٢) الأجل: هو الوقت الموقت، فأجل الموت هو: وقت الموت وأجل الدَّين هو وقت حلوله وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له.

﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

شـــرح الكلمـات :

إما يأتينكم : أصل إما إن ـ الشرطية ـ وما زائدة لتقوية الكلام أدغمت فيها (إن) فصارت إما.

يقصون[1] عليكم آياتي : يتلونها عليكم آية بعد آية مبينين لكم مادلت عليه من أحكام الله وشرائعه ، ووعده ووعيده.

فمن اتقى : أي الشرك فلم يشرك وأصلح نفسه بالأعمال الصالحة.

فلا خوف عليهم : في الدنيا والآخرة.

ولا هم يحزنون : على ماتركوا وراءهم أو فاتهم الحصول عليه من أمور الدنيا.

معنى الآيتين :

هذا النداء جائز أن يكون نداءً عاماً لكل بني آدم كما هو ظاهر اللفظ وأن البشرية كلها نوديت به على ألسنة رسلها، وجائز أن يكون خاصاً بمشركي العرب وأن يكون المراد من الرسل محمد ﷺ ذكر بصيغة الجمع تعظيماً وتكريماً له، ومانوديت إليه البشرية أو مشركوا العرب هو إخبار الله تعالى لهم بأن من جاءه رسول من جنسه يتلو عليه آيات ربه وهي تحمل العلم بالله وصفاته وبيان محابه ومساخطه، فمن اتقى الله فترك الشرك به، وأصلح ما أفسده قبل العلم من نفسه وخلقه وعقله وذلك بالإيمان والعمل الصالح فهؤلاء في حكم الله أنه ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الحياتين[2] معاً، أما الذين كذبوا بآيات الله التي جاءت

---

(١) القصص: هو اتباع الحديث بعضه بعضا.
(٢) أمّا في البرزخ وفي يوم القيامة فالأمر ظاهر لا خلاف في أنهم لا يخافون ولا يحزنون ولكن في الحياة الدنيا يصيبهم الخوف والحزن، ولكن خوفهم وحزنهم لا يكاد يذكر مع خوف وحزن أهل الكفر والشرك.

الرسل بها وقصتها عليهم واستكبروا[1] عن العمل بها كما استكبروا عن الإيمان بها، فأولئك البعداء من كل خير - ﴿أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها بحال من الأحوال.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ - قطع حجة بني آدم بإرسال الرسل إليهم.

٢ - أول ما يبدأ به في باب التقوى الشرك بأن يتخلى عنه الإنسان المؤمن أولاً.

٣ - الإصلاح يكون بالأعمال الصالحة التي شرعها الله مزكية للنفوس مطهرة لها.

٤ - التكذيب كالاستكبار كلاهما مانع من التقوى والعمل الصالح. ولذا أصحابهما هم أصحاب النار.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾
قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

(١) الاستكبار: المبالغة في التكبّر وضمن مع الاستكبار الإعراض، والمعنى: واستكبروا فأعرضوا عنها.

بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

شـــرح الكلمـات :

فمن أظلم	: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا المشرك ظالم لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لا يستحقها.
نصيبهم	: ما قدر لهم في كتاب المقادير.
رسلنا	: المراد بهم ملك الموت وأعوانه.
قالوا ضلوا عنا	: غابوا عنا فلم نرهم ولم نجدهم.
في أمم	: أي في جملة أمم.
اداركوا	: أي تداركوا ولحق بعضهم بعضا حتى دخلوها كلهم.
اخراهم لأولاهم	: الاتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبوعون.
تكسبون	: من الظلم والشر والفساد.
يلج الجمل في سم الخياط	: أي يدخل الجمل في ثقب الإبرة.
المجرمين	: الذين أجرموا على أنفسهم فافسدوها بالشرك والمعاصي.
مهاد	: فراش يمتهدونه من النار.
غواش	: أغطية يتغطون بها من النار كذلك.

معنى الآيات:

يُخبر تعالى بأنه لا أظلم ولا أجهل ولا أضل ممن يفترى على الله الكذب فيقول اتخذ ولداً أو أمر بالفواحش، أو حرم كذا وهو لم يحرم، أو كذب بآياته التي جاءت بها رسله فجحدها وعاند في ذلك وكابر، فهؤلاء المفترون المكذبون يخبر تعالى أنه ﴿ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾

أي ما كُتب لهم في اللوح المحفوظ من خير وشر وسعادة أو شقاء[1] ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ أي ملك الموت وأعوانه ﴿يتوفونهم﴾. يقولون لهم ﴿ اين ما كنتم تدعون من دون الله ﴾ أي تعبدون من أولياء؟ فيجيبون قائلين: ﴿ ضلوا عنا﴾ أي غابوا فلم نرهم. قال تعالى: ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ ويوم القيامة يقال لهم ﴿ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس﴾ في النار، فيدخلون. ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ فلعن المشركون بعضهم بعضاً، واليهود والنصارى كذلك، ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ أي تلاحقوا وتم دخولهم النار أخذوا يشتكون ﴿ قالت اخراهم لأولاهم ربنا﴾ أي ياربنا ﴿هؤلاء أضلونا﴾ عن صراطك فلم نعبدك ﴿فآتهم عذاباً ضعفاً﴾ أي مضاعفاً ﴿من النار﴾، فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ لكل ضعف ﴾ لكل واحدة منكم ضعف من العذاب ﴿ولكن لاتعلمون﴾، إذ الدار دار عذاب فهو يتضاعف على كل من فيها، وحينئذ ﴿قالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا منْ[3] فضل، فذوقوا[4] العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ أي من الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآياته، ومجانبة طاعته وطاعة رسوله.

هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآيتان الرابعة والخامسة فإن الرابعة قررت حكمًا عظيما وهو أن الذين[5] كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا الصالحات وعاشوا على الشرك والشر والفساد هؤلاء إذا مات أحدهم وعرجت الملائكة بروحه إلى السماء لاتفتح له أبوب السماء[6]، ويكون مآلهم النار كما قال تعالى ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فعلق دخولهم الجنة على مستحيل وهو دخول الجمل في ثقب الإبرة، والمعلق على مستحيل مستحيل. قال تعالى ﴿ وكذلك نجزي المجرمين﴾ على أنفسهم حيث أفسدوها بالشرك والمعاصي. هذا ماتضمنته الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين

---

(١) أي: في الدنيا أمّا في الآخرة فهم أصحاب النار هم فيها خالدون ولا سعادة مع دخول النار.

(٢) حتى هنا: ابتدائية وليست غائية إذ هي بداية خبر المكذبين المستكبرين المعرضين. قال سيبويه: حتى، وإمّا، وألا لا يُملْن لأنهن حروف وكتبت حتى بالياء لأنها أشبهت سكرى وحبلى.

(٣) ﴿منْ﴾ زائدة لتأكيد نفي الفضل.

(٤) الذوق هنا: مستعمل للإهانة والتشفي والباء في ﴿بما كنتم تكسبون﴾ سببية.

(٥) جملة: ﴿إنّ الذين﴾ الخ مستأنفة استئنافاً ابتدائيا سيقت لتحقيق خلود الفريقين في النار معا والفريقان هما أولاهما وأخراهما في الآية إذ كلا الفريقين كان مكذبا مستكبرا.

(٦) القول بأنّ قوله تعالى: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾: كلمة جامعة لمعنى الحرمان من الجزاءات الإلهية قول باطل لأنّه تأويل يبطل به ما أخبر تعالى به من أنّ للسماء أبوابا إذ أيّ مانع أن يكون للسماء أبواب لا يدخل معها ملك ولا جني ولا إنسان إلّا بإذن ولكل بناء أبواب بحسبه.

كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط[1] وكذلك نجزي المجرمين﴾[2].

أما الخامسة فقد تضمنت الخبر التالي: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ أي أغطية من النار وكما جزى تعالى هؤلاء المكذبين المستكبرين والمجرمين يجزي بعدله الظالمين لأنفسهم حيث لوثوها وخبثوها بأوضار الذنوب والآثام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ شر الظلم ما كان كذبا على الله وتكذيبا بشرائعه.

٢ ـ تقرير فتنة القبر[3] وعذابه.

٣ ـ لعن أهل النار بعضهم بعضاً حنقاً على بعضهم بعضاً إذ كان كل واحد سبباً في عذاب الآخر.

٤ ـ بيان جزاء المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها وهو الحرمان من دخول الجنة، وكذلك المجرمون والظالمون.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

---

(١) الخياط: أي المخيط.

(٢) الإجرام: فعل الجرم، وأجرم إذا فعل الجرم وهو: الذنب والذنب: هو ما يفسد الروح وينجسها، فاجرم معناه: أفسد.

(٣) أخرج ابن كثير في تفسيره عن أبي داود حديثا طويلاً اشتمل على بيان قبض روح العبد والعروج بها إلى السماء ثم العودة بها إلى القبر وما يجري في القبر من فتنة وما يتم للعبد الصالح من سعادة وللكافر من شقاوة فليُرجع إليه.

شــرح الكلمـات:

إلا وسعها : طاقتها وماتتحمله وتقدر عليه من العمل.

ونزعنا : أي أقلعنا وأخرجنا.

من غل : أي من حقد وعداوة.

هدانا لهذا : أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا جزاؤه وهو الجنة.

بما كنتم تعملون : أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد.

معنى الآيتين:

لما ذكر تعالى جزاء أهل التكذيب والاستكبار عن الإيمان والعمل الصالح وكان شقاء وحرماناً ذكر جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، ولما كان العمل منه الشاق الذي لايطاق ومنه السهل الذي يقدر عليه قال: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي ما تقدر عليه من العمل ويكون في استطاعتها، ثم أخبر عن المؤمنين العاملين للصالحات فقال ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾. كما أخبر في الآية الثانية أنه طهرهم باطناً فنزع ما في صدورهم من غل[1] على بعضهم بعضاً، وأن الأنهار تجري من تحت قصورهم، وأنهم قالوا شاكرين نعم الله عليهم: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي لعمل صالح هذا جزاؤه أي الجنة ومافيها من نعيم مقيم، وقرروا حقيقة وهي أن هدايتهم التي كان جزاؤها الجنة لم يكونوا ليحصلوا عليها لولا أن الله تعالى هو الذي هداهم فقالوا: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[2]، ثم قالوا والله ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ فهاهم أهل الكفر والمعاصي في النار، وها نحن أهل الإيمان والطاعات في نعيم الجنة فصدقت الرسل فيما أخبرت به من وعد ووعيد، وناداهم ربهم سبحانه وتعالى: ﴿أن تلكم الجنة أورثتموها[3] بما كنتم تعملون﴾ فيزداد بذلك نعيمهم وتعظم سعادتهم.

---

(١) الغلّ: الحقد الكامن في الصدر أي: أذهبنا ـ في الجنة ـ ما كان في قلوبهم من الغلّ في الدنيا ولذا فلا يكون بينهم من تحاسد في الجنة على تفاوت درجاتهم في العلو والارتفاع. وقال علي رضي الله عنه: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾.

(٢) روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكراً، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فيكون له حسرة.

(٣) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) وعليه فالباء في قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ سببية وليست باء العوض إذ أعمال العبد لا تعادل موضع سوط في الجنة فالعمل مورث بفضل الله تعالى ورحمته.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ الإيمان والعمل الصالح موجبان لدخول الجنة مقتض للكرامة في الدارين .

٢ ـ لا مشقة لا تحتمل في الدين الصحيح الذي جاءت به الرسل إلا ما كان عقوبة .

٣ ـ لا عداوة ولا حسد في الجنة .

٤ ـ الهداية هبة من الله فلا تطلب إلا منه ، ولا يحصل عليها إلا بطلبها منه تعالى .

٥ ـ صدقت الرسل فيما أخبرت به من شأن الغيب وغيره .

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا
فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن
لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ
لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

شـــرح الكلمات :

فأذن مؤذن : أي أعلن بأعلى صوته أن لعنة الله على الظالمين .

لعنة الله : أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب .

يصدون عن سبيل الله : سبيل الله هي الإسلام والصد : الصرف فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا غيرهم .

ويبغونها عوجا : يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم .

وبينهما حجاب : أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف .

وعلى الأعراف : سور بين الجنة والنار قال تعالى من سورة الحديد ﴿فضرب بينهم بسور﴾ .

يعرفون كلا بسيماهم : أي كل من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم.

صرفت أبصارهم : أي نظروا إلى الجهة التي فيها أصحاب النار.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار فيخبر تعالى أن أصحاب الجنة نادوا أصحاب النار قائلين لهم إنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا به من الجنة ونعيمها حقاً، فهل وجدتم[1] أنتم ماوعدكم ربكم من النار وعذابها حقاً؟ فأجابوهم: نعم[2] إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وهنا أذن مؤذن قائلاً: لعنة[3] الله على الظالمين الذي يصدون عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى والجنة، ويبغونها عوجاً أي يريدون سبيل الله معوجة تدور معهم حيث داروا في شرورهم ومفاسدهم، وشهواتهم وأهوائهم، وهم بالآخرة كافرون أيضاً فهؤلاء يلعنونهم: لعنة الله على الظالمين الذين تلك صفاتهم قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿وبينهما﴾ أي بين أهل الجنة وأهل النار ﴿حجاب﴾ فاصل أي حاجز وهو مكان على مرتفع، وعليه رجال من بني آدم استوت سيئاتهم وحسناتهم فحبسوا هناك حتى يقضي بين أهل الموقف فيحكم فيهم بدخولهم الجنة إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ أي يعرفون أهل الجنة بسيماهم وهي بياض الوجوه ونضرة النعيم، ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وزرقة العيون.

﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة قائلين: سلام عليكم يتطمعون بذلك كما قال تعالى ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون. وإذا صرفت أبصارهم تلقاء[4] أصحاب النار﴾ أي نظروا إلى جهة أهل النار فرأوا أهلها مسودة وجوههم زرق أعينهم يكتنفهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، رفعوا أصواتهم قائلين: ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي أهل النار لأنهم دخلوها بظلمهم والعياذ بالله.

---

(١) هذا سؤال توبيخ وتعيير لا استفهام واستخبار.

(٢) في نعم لغات: فتح النون والعين نعم وكسر العين للفرق بينها وبين النعم التي هي الإبل والبقر والغنم، وهي حرف إجابة وتكون للعدة والتصديق فمثال العدة نحو: أيقوم زيد؟ فتقول: نعم أي تعده بقيامه ومثال التصديق قولك: هل جاء زيد؟ فتقول: نعم فتصدقه في مجيئه.

(٣) يروى أن طاووسا دخل على هشام بن عبدالملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فأذَّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ فصعق هشام فقال طاووس: هذا ذلّ الصفة فكيف ذل المعاينة.

(٤) قال أهل اللغة: لم يأت مصدر على تِفعال سوى حرفين: تِلقاء وتِبيان. وما عداهما فبالفتح نحو تَسيار وتَذكار وتَهمام، أما الأسماء فكثيرة نحو تِمثال ومِفتاح ومِصباح ومِعراج.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ وجود اتصال كامل بين أهل الجنة وأهل النار متى أراد أحدهم ذلك بحيث إذا أراد من في الجنة أن ينظر إلى من في النار ويخاطبه تم له ذلك.

٢ ـ يجوز إطلاق لفظ الوعد على الوعيد للمشاكلة أو التهكم كما في هذه الآيات.

٣ ـ التنديد بالصد عن سبيل الله، والظلم والكفر بالآخرة وهي أسباب الشقاء في الدار الآخرة.

٤ ـ تقرير مبدأ ثقل الحسنات ينجي وخفتها تردي، ومن استوت حسناته وسيئاته ينجو آخر من ينجو من دخول النار.

٥ ـ مشروعية الطمع إذا كان مقتضاه موجوداً.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ
ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟
لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

شـــرح الكلمـات :

بسيماهم : السيما العلامة الدالة على من هي فيه.

جمعكم : أي للمال وللرجال كالجيوش.

أهؤلاء : إشارة إلى ضعفاء المسلمين وهم في الجنة.

أو مما رزقكم الله : أي من الطعام والشراب.

حرمهما : منعهما.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار قال تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا﴾ أي من أهل النار يعرفونهم بسيماهم التي هي سيما أصحاب النار من سواد الوجوه وزرقة العيون نادوهم قائلين: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ أي للأموال والرجال للحروب والقتال، كما لم يغن عنكم استكباركم على الحق وترفعكم عن قبوله وها أنتم في أشد ألوان العذاب، ثم يشيرون لهم إلى ضعفة المسلمين الذين يسخرون منهم في الدنيا ويضربونهم ويهينونهم[1] ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ أي حلفتم ﴿لاينالهم الله برحمة[2]﴾ ثم يقال لأصحاب الأعراف ﴿ادخلوا[3] الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

وفي الآية الثالثة يقول تعالى مخبراً عن أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب[4] الجنة أن أفيضوا علينا من الماء[5]﴾ وذلك لشدة عطشهم ﴿أو مما رزقكم الله﴾ أي من الطعام وذلك لشدة جوعهم فيقال لهم: ﴿إن الله حرمهما﴾ أي شراب الجنة وطعامها ﴿على الكافرين﴾ فلا ينالوهما بحال من الأحوال.

ثم وصف الكافرين ليعرض جرائمهم التي اقتضت حرمانهم وعذابهم ليكون ذلك عظة وعبرة للكفار من قريش ومن سائر الناس فقال وهو ماتضمنته الآية الرابعة ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أي نتركهم في عذابهم كما تركوا يومهم هذا فلم يعملوا له من الإيمان والصالحات، وبسبب جحودهم لآياتنا الداعية إلى الإيمان وصالح الأعمال.

---

(١) كبلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم من سائر ضعفة المؤمنين في كل أمّة من الأمم التي وجد فيها مؤمنون مستضعفون.

(٢) جعل إيواء الله تعالى إياهم بدار رحمته التي هي الجنة بمنزلة النيل الذي هو حصول الأمر المحبوب المطلوب.

(٣) اختلف في القائل. والراجح أنه الله تعالى، وذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار في النار ولم يبق إلاّ أصحاب الأعراف فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: ﴿ادخلوا الجنة﴾.

(٤) روي عن ابن عباس أنه قال: لمّا صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا: يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم.. فينادي الرجل أخاه أو قريبه قد احترقت فأغثني فيقول له إن الله حرّمهما على الكافرين.

(٥) في الآية دليل على أفضلية صدقة الماء، وفي الحديث: (أي الصدقة أعجب إليك؟ قال: الماء) وليس أدل من حديث الذي سقى كلباً عطشان فشكر الله له فغفر له.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ عدم إغناء المال والرجال أيّ إغناء لمن مات كافراً مشركاً من أهل الظلم والفساد.

٢ ـ بشرى الضعفة من المسلمين بدخول الجنة وسعادتهم فيها.

٣ ـ تحريم اتخاذ شيء من الدين لهواً ولعباً.

٤ ـ التحذير من الاغترار بالدنيا حتى ينسى العبد آخرته فلم يعد لها ما ينفعه فيها من الإيمان وصالح الأعمال.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات:

ولقد جئناهم : أي أهل مكة أولاً ثم سائر الناس.

بكتاب : القرآن العظيم.

فصلناه على علم : بيناه على علم منّا فبيّنا حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقصصه ومواعظه وأمثاله.

تأويله : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعيد أي عاقبة ما أنذروا به.

وضل عنهم : أي ذهب ولم يعثروا عليه.

في ستة أيام : هي الأحد إلى الجمعة.

يغشي الليل النهار : يغطي كل واحد منهما الآخر عند مجيئه.

حثيثاً : سريعاً بلا انقطاع.

مسخرات : مذللات.

ألا : أداة استفتاح وتنبيه (بمنزلة ألو للهاتف).

له الخلق والأمر : أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له.

تبارك : أي عظمت قدرته، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته.

العالمين : كل ماسوى الله تعالى فهو عالم أي علامة على خالقه وإلهه الحق.

معنى الآيات:

بعد ذلك العرض لأحوال الناس يوم القيامة ومشاهد النعيم والجحيم أخبر تعالى أنه جاء قريشاً لأجل هدايتهم بكتاب عظيم هو القرآن الكريم وفصّله تفصيلاً فبيّن التوحيد ودلائله، والشرك وعوامله، والطاعة وآثارها الحسنة والمعصية وآثارها السيئة في الحال والمآل وجعل الكتاب هدى أي هادياً ورحمة يهتدي به المؤمنون وبه يرحمون.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٥٢) وهي قوله تعالى: ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم[(١)] هدىً[(٢)] ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ وأما الآية الثانية (٥٣) فقد استبطأ الحق تعالى فيها إيمان أهل مكة الذين جاءهم بالكتاب المفصّل المبيّن فقال: ﴿ هل يَنْظُرون ﴾ أي ماينظرون ﴿إلّا تأويله﴾ أي عاقبة ما أخبر به القرآن من القيامة وأهوالها، والنّار وعذابها، وعندئذ يؤمنون، وهل ينفع يومئذ الإيمان؟ وهاهم أولاء يقولون ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وينكشف الغطاء عما وعد به، ﴿ يقول الذين نسوه من قبل ﴾ أي قبل وقوعه،وذلك في الحياة الدنيا، نسوه فلم يعملوا بما ينجيهم فيه من العذاب يقولون: ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعترفوا بما

---

(١) أي :مناً به، فلم يقع فيه سهو ولاغلط وحاشاه تعالى أن يسهو أو يغلط.

(٢) ﴿هدى ورحمة﴾ منصوبان على الحال، ويصح فيهما الرفع والخفض فالرفع على الابتداء أي: هو هدى ورحمة، والخفض على النعت لكتاب أي: ذي هداية ورحمة، وخص المؤمنون بالهدى والرحمة لأنهم أحياء، وأمّا الكافرون فهم أموات.

كانوا به يجحدون ويكذبون ثم يتمنون ما لا يتحقّق لهم أبداً فيقولون: ﴿ فهل[1] لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟ أو نردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ من الشرك والشر والفساد. وتذهب تمنياتهم أدراج الرياح، ولم يرُعْهُمْ إلا الإعلان التالي: ﴿ قد خسروا[2] أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ خسروا أنفسهم في جهنم، وضاع منهم كلّ أمل وغاب عنهم ما كانوا يفترون من أنّ آلهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويدخلونهم الجنة.

وفي الآية الأخيرة يقول تعالى لأولئك المتباطئين في إيمانهم ﴿إنّ ربّكم﴾ الذي يُحبُّ أن تعبدوه وتدعوه وتتقربوا إليه وتطيعوه ﴿ اللهُ الذي خلق السمواتِ والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغْشِي الّليْلَ النّهار يطلبه[3] حثيثاً والشمس والقمرَ والنجّومَ مسخراتٍ بأمره ﴾ هذا هو ربكم الحق وإلهكم الذي لا إله لكم غيره، ولا ربَّ لكم سواه، أمّا الأصنام والأوثان فلن تكون ربّاً ولا إلهاً لأحد أبداً لأنّها مخلوقة غير خالقة وعاجزة عن نفع نفسها، ودفع الضّر عنها فكيف بغيرها؟ إنّ ربّكم ومعبودكم الحقّ الذي له الخلق[4] كلّه ملكاً وتصرفاً وله الأمر وحده يتصرف كيف يشاء في الملكوت كله. علويّه وسفليّه فتبارك الله رب العالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - لاينفع الإيمان عند معاينة الموت والعذاب كما لا ينفع يوم القيامة.

٢ - يحسن التثبت في الأمر والتأني عند العمل وترك العجلة، فالله قادرٌ على خلق السمّوات والأرض في ساعة ولكن خلقها في ستة[5] أيام بمقدار أيام الدّنيا تعليمًا وإرشاداً إلى التثبت في الأمور والتأني فيها.

٣ - صفة من صفات الرب تعالى التي يجب الإيمان بها ويحرم تأويلها أو تكييفها وهي

---

(١) ﴿فهل لنا من شفعاء﴾؟ الاستفهام مشوب بالتمني.

(٢) خسران النفس أكبر خسران إذ هو آخر ما يخسر، فإنّ مَنْ خسر نفسه فقد خسر كل شيء قال تعالى: ﴿قل إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ ومعنى: خسران النفس: عدم الانتفاع بها.

(٣) أي: يطلبه طلباً حثيثاً أي سريعاً، إذ الحث: الإعجال والسرعة.

(٤) قال رسول الله ﷺ: (من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله) أخرجه ابن كثير نقلا عن ابن جرير. وقال ابن عيينة: فرّق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر إذ قال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فالخلق غير الأمر فمن قال: الأمر مخلوق فقد كفر.

(٥) أصل ستة: سدسة فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها فصارت ستة ولذا تصغر على سديسة وتجمع على أسداس، والجمع والتصغير يردّان الأسماء إلى أصولها، ويقال: جاء فلان سادس ستة.

استواؤه تعالى على عرشه.[1]

٤ ـ انحصار الخلق كلّ الخلق فيه تعالى فلا خالق إلا هو، والأمر كذلك فلا آمر ولا ناهي غيره. هنا قال عمر: من بقي له شيء فليطلبه إذ لم يبق شيء مادام الخلق والأمر كلاهما لله.

ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾

شـرح الكلمـات:

ادعوا ربكم : سلوه حوائجكم الدنيوية والأخروية فإنّه ربّكم فلا تستحيوا من سؤاله.

تضرعاً وخفية : أي حال كونكم ضارعين متذللين مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به.

المعتدين : أي في الدعاء وغيره والاعتداء في الدعاء أن يسأل الله مالم تجر سنته بإعطائه أو إيجاده أوتغييره كأن يسأل أن يكون نبياً أو أن يرد طفلاً أو صغيراً، أو يرفع صوته بالدعاء.

ولا تفسدوا في الأرض : أي بالشرك والمعاصي بعد إصلاحها بالتوحيد والطاعات.

المحسنين : الذين يحسنون أعمالهم ونياتهم، بمراقبتهم الله تعالى في كل أحوالهم.

معنى الآيات:

لما عرّف تعالى عباده بنفسه وأنه ربهم الحق وإلههم، وأنه الخالق الآمر المتصرف بيده كل شيء أمرهم إرشاداً لهم أن يدعوه، وبين لهم الحال التي يدعونه عليها، ليستجيب لهم

---

(١) من أحسن ما يؤثر في مسألة الاستواء قول مالك رحمه الله تعالى إذ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، ويروى مثله عن أم سلمة رضي الله عنها.

فقال: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً﴾[1] أي تذللاً وخشوعاً ﴿وخفية﴾[2] أي سراً لا جهراً، ونهاهم عن الاعتداء في الدعاء حيث أعلمهم أنه لا يحب المعتدين، والاعتداء في الدعاء أن يُدْعَىٰ غير الله تعالى أو يدعى معه غيره، ومنه طلب ذوات الأسباب بدون إعداد أسبابها، أو سؤال ما لم تجر سنة الله به كسؤال المرء أن يكون نبياً أو يرد من كهولته إلى شبابه أو من شبابه إلى طفولته.

ثم بعد هذا الإرشاد والتوجيه إلى مايكملهم ويسعدهم نهاهم عن الفساد في الأرض بعد أن أصلحها تعالى والفساد في الأرض يكون بالشرك والمعاصي، والمعاصي تشمل سائر المحرمات كقتل الناس وغصب أموالهم وإفساد زروعهم وإفساد عقولهم بالسحر والمخدرات وأعراضهم بالزنى والموبقات. ومرة أخرى يحضهم على دعائه لأن الدعاء هو العبادة وفي الحديث الصحيح «الدعاء هو العبادة» فقال: ادعوا ربكم أي سلوه حاجاتكم حال كونكم في دعائكم خائفين من عقابه طامعين راجين رحمته وبين لهم أن رحمته قريب[3] من المحسنين الذين يحسنون نيّاتهم وأعمالهم ومن ذلك الدعاء فمن أحسن الدعاء ظفر بالإجابة، فثواب المحسنين قريب الحصول بخلاف المسيئين فإنه لا يستجاب لهم.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ وجوب دعاء الله تعالى فإن الدعاء هو العبادة.

٢ ـ بيان آداب الدعاء وهو: أن يكون الداعي ضارعاً متذللاً، وأن يخفي دعاءه فلا يجهر به، وأن يكون حال الدعاء خائفاً طامعاً،[4] وأن لايعتدي في الدعاء بدعاء غير الله تعالى أو سؤال مالم تجر سنة الله بإعطائه.

٣ ـ حرمة الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي بعد أن أصلحها الله تعالى بالإسلام.

٤ ـ الترغيب في الإحسان مطلقاً خاصاً وعاماً حيث أن الله تعالى يحب أهله.

---

(١) اختلف في رفع اليدين في الدعاء والأكثرون على استحبابه لفعله ﷺ.

(٢) روي أنه ﷺ قال: (خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي).

(٣) عدم تأنيث قريب مع أنه خبر عن مؤنث، تكلم فيه كثيراً وأحسن ما قيل في مثله ان لفظ قريب وبعيد إذا أطلق على النسب تعيّن التذكير والتأنيث بحسب المخبر عنه نحو: زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر مثلا، وما كان لغير النسب جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ وقال: ﴿وماهي من الظالمين ببعيد﴾ فذكّر في الموضعين مع أن الوصف عائد على مؤنث.

(٤) ويصح نصب خوفاً وطمعا مفعولين لأجله أي ادعوه لأجل الخوف منه والطمع فيه، ونصبهما على الحال كما في التفسير حسن أيضا.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات:

الرياح : جمع ريح وهو الهواء المتحرك.

بُشْراً[1] : جمع بشير أي مبشرات بقرب نزول المطر، قرىء نشراً أي تنشر السحاب للأمطار.

رحمته : أي رحمة الله تعالى وهي المطر.

أقلت سحاباً ثقالاً : أي حملت سحاباً ثقالاً مشبعاً ببخار الماء.

ميت : لا نبات به ولا عشب ولا كلأ.

كذلك نخرج الموتى : أي كذلك نحيي الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء.

تذكرون : تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء.

الطيب : أي الطيب التربة.

خبث : أي خبثت تربته بأن كانت سبخة.

إلا نَكِداً : أي إلا عسراً.

نصرف الآيات : أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في بعضها للهداية والتعليم.

لقوم يشكرون : لأنهم هم الذين ينتفعون بالنعم بشكرها بصرفها في محاب الله تعالى.

---

(١) كرُسُل جمع رسول، وسكّن بشراً للتخفيف كما تسكن السين في رُسُل فيقال: رُسْل على وزن فُعْل.

معنى الآيتين:

مازال السياق الكريم في بيان مظاهر القدرة الربانية والرحمة الإلهية الموجبة لعبادته تعالى وحده دون سواه قال تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً ﴾ وهو أي ربكم الحق الذي لا إله إلا هو وبشراً أي مبشرات ونشراً[1] أي تنشر الرياح تحمل السحب الثقال ليسقي الأرض الميتة فتحيا بالزروع والنباتات لتأكلوا وترعوا أنعامكم، وبمثل هذا التدبير في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها يحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياء ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه وهذا الفعل الدال على القدرة والرحمة ولطف التدبير يُريكموه فترونه بأبصاركم لعلكم به تذكرون أن القادر على إحياء موات الأرض قادر على إحياء موات الأجسام فتؤمنوا بلقاء ربكم وتوقنوا به فتعملوا بمقتضى ما يسعدكم ولا يشقيكم فيه.

هذا ماتضمنته الآية الأولى (٥٧) ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي المطر ﴿حتى إذا أقلّت﴾ أي حملت ﴿سحاباً ثقالاً﴾ أي ببخار الماء ﴿سقناه﴾ بقدرتنا ولطف تدبيرنا ﴿لبلد ميت[2]﴾ لا حياة به لا نبات ولا زرع، ولا عشب ﴿فأنزلنا به﴾ أي بالسحاب ﴿الماء﴾ العذب الفرات، ﴿فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ المختلفة الألوان والروائح والطعوم ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ كهذا الإخراج للنبات من الأرض الميتة نخرج الموتى[3] من قبورهم وعملنا هذا نسمعكم إياه ونريكموه بأبصاركم رجاء أن تذكروا فتذكروا أن القادر على إحياء الأرض قادر على إحياء الموتى رحمة منا بكم وإحساناً منا إليكم.

أما الآية الثانية (٥٨) فقد تضمنت مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم فقال تعالى: ﴿والبلد الطيب﴾ أي طيب التربة ﴿يخرج نباته بإذن ربه﴾ وذلك بعد إنزال المطر به، وهذا مثل العبد المؤمن ذي القلب الحي الطيب إذا سمع ماينزل من الآيات يزداد إيمانه وتكثر أعماله الصالحة ﴿والذي خبث﴾ أي والبلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكداً عسراً[4] قليلاً غير

---

(١) قرىء (بُشراً) بضم الباء، وقرىء (نشراً) بالنون المضمومة، وهما قراءتان سبعيتان وفسرت الكلمتان بحسب ما تدلان عليه فتأمل، وفيهما قراءات أخرى من حيث الحركات كضم الباء مع الشين، وبشرى بالألف المقصورة.

(٢) البلد والبلدة بمعنى ويجمع على بلاد وبلدان.

(٣) روى مسلم قوله ﷺ: (ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطلّ فتنبت منه أجساد الناس، ثم قال: أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون) الحديث.

(٤) النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير من الناس، وشبه به البلد الخبيث التربة كذات الحجارة أو السبخة.

صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خُلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيراً ولا يترك شراً.

وقوله تعالى: ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ أي ببيان مظاهر قدرته تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وضرب الأمثال وسوق الشواهد والعبر ﴿لقوم يشكرون﴾ إذ هم المنتفعون بها أما الكافرون الجاحدون فأنى لهم الإنتفاع بها وهم لا يعرفون الخير ولاينكرون الشر.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء إذ هي من أهم أركان الإيمان.

٢ ـ الإستدلال بالحاضر على الغائب وهو من العلوم النافعة.

٣ ـ حسن ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٤ ـ فضيلة الشكر وهو صرف النعمة فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

شــرح الكلمـات:

نوحـــاً : هذا أول الرسل هذا العبد الشكور هو نوح بن لَمْك بن متوشلخ بن أخنوخ أي أدريس[1] عليهما السلام، أحد أولى العزم الخمسة من الرسل عاش داعياً وهادياً ومعلّماً ألفاً ومائتين وأربعين سنة، ومدة الدعوة ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وما بعدها عاشها هادياً ومعلّماً للمؤمنين.

عذاب يوم عظيم : هو عذاب يوم القيامة.

الملأ : أشراف القوم ورؤساؤهم الذين يملأون العين والمجلس.

وأنصح لكم : أريد لكم الخير لا غير.

أوَعجبتم : الاستفهام للإنكار، وعجبتم الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة هي كذبتم أي أكذبتم وعجبتم.

لينذركم : أي العذاب المترتب على الكفر والمعاصي.

ولتتقوا : أي الله تعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون.

والذين معه في الفلك : هم المؤمنون من قومه والفلك هي السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى وعونه.

عمين : جمع عمٍ[2] وهو أعمى البصيرة أما أعمى العينين يقال فيه أعمى.

معنى الآيات:

هذا شروع في ذكر قصص ستة من الرسل وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام والمراد من ذكر هذا القصص هو تنويع أسلوب الدعوة ليشاهد المدعون من كفار قريش صوراً ناطقة ومشاهد حية لأمم سبقت وكيف كانت بدايتها وبم ختمت نهايتها، وهي لاتختلف إلا يسيراً عما هم يعيشونه من أحداث الدعوة والصراع الدائر بينهم وبين نبيهم لعلهم يتعظون. ، ومع هذا فالقصص يقرر نبوة محمد ﷺ إذ لو لم يكن رسولاً يوحى إليه لما تأتى له أن يقص من أخبار الماضين ما بهر العقول كما أن المؤمنين مع نبيهم يكتسبون من العبر ما يحملهم على الثبات والصبر، ويجنبهم القنوط واليأس من حسن العافية والظفر والنصر.

(١) الظاهر أن إدريس هنا ليس هو إدريس النبي الرسول عليه السلام ـ والله أعلم.

(٢) يقال: رجل عمٍ أي جاهل بكذا.

وهذا أول قصص يقوله تعالى فيه ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾(١) أي وعزتنا لقد أرسلنا نوحا إلى قومه كما أرسلناك أنت يارسولنا إلى قومك من العرب والعجم، فقال: أي نوح في دعوته: ﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾(٢) أي ليس لكم على الحقيقة إله غيره، إذ الإله الحق من يخلق ويرزق ويدبر فيحيي ويميت ويعطي ويمنع، ويضر وينفع، ويسمع ويبصر فأين هذا من آلهة نحتموها بأيديكم، ووضعتموها في بيوتكم عمياء لا تبصر صماء لا تسمع بكماء لاتنطق فكيف يصح أن يطلق عليها اسم الإله وتعبد ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أنذرهم عذاب يوم القيامة إن هم أصروا على الشرك والعصيان فأجابه الملأ منهم(٣) وهم أهل الحل والعقد في البلاد قائلين: ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ بسبب موقفك العدائي هذا لآلهتنا، ولعبادتنا إياها فأجاب عليه السلام قائلاً ﴿ياقوم ليس بي ضلالة﴾ مجرد ضلالة فكيف بالضلال كله كما تقولون، ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي إليكم ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾(٤) أي بما هو خير لكم في حالكم ومآلكم، واعلموا أني ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فأنا على علم بما عليه ربي من عظمة وسلطان، وجلال، وجمال، وماعنده من رحمة وإحسان، ومالديه من نكال وعذاب، وأنتم لا تعلمون فاتقوا الله إذاً وأطيعوني يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى آجالكم، ولا يعجل بفنائكم وواصل حديثه معهم وقد دام ألف سنة إلا خمسين عاماً قائلاً: أكذبتم بما دعوتكم إليه وجئتكم به وعجبتم(٥) أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم، ولتتقوا الله بتوحيده وعبادته وطاعته رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أمن هذا يتعجب العقلاء؟ وكانت النتيجة لهذه الدعوة المباركة الخيّرة أن كذبوه فأنجاه ربه والمؤمنين معه، وأغرق الظالمين المكذبين، لأنهم كانوا قوماً عمين فلا يستحقون البقاء والنجاة قال تعالى ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في

---

(١) نوح: هو أوّل الرسل من حيث انه حارب الشرك ودعا إلى التوحيد، وهل إدريس من ذريته أو من آبائه خلاف، أمّا شيث بن آدم فقطعاً هو من آبائه.

(٢) غيره: مرفوع على النعت لإله المرفوع تقديراً، إذ الأصل رفعه، وجُرّ بحرف الجرّ الزائد الذي هو مِنْ.

(٣) الملأ: هم أشراف القوم ورؤساؤهم الذين إذا نظر إليهم ملأوا العين وإذا جلسوا ملأوا المجلس، هذا أصل الكلمة.

(٤) النصح: إخلاص القول والعمل من شوائب الفساد، بمعنى تخليص القول أو العمل مما هو ضار أو غير نافع للمنصوح له، ويقال نصحه ونصح له والمعنى واحد، والاسم النصيحة، والناصح الخالص من العسل مثل الناصح الذي لا شائبة فيه.

(٥) قوله تعالى: ﴿أو عجبتم﴾ الهمزة للاستفهام، والواو عاطفة على جملة محذوفة كما هي في التفسير.

الفلك[١]، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين[٢] ﴾ لا يبصرون الآيات ولا يرون النذر والشواهد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير نبوة محمد ﷺ كنبوة نوح عليه السلام.

٢ ـ تقرير وتأكيد التوحيد، وبيان معنى لا إله إلا الله.

٣ ـ التحذير من عذاب يوم القيامة بالتذكير به

٤ ـ أصحاب المنافع من مراكز وغيرها هم الذين يردون دعوة الحق لمنافاتها للباطل.

٥ ـ تقرير مبدأ العاقبة للمتقين.

٦ ـ عمى القلوب أخطر من عمى العيون على صاحبه.

۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

---

(١) الفلك يكون واحدا وجمعا ويذكر ويؤنث.

(٢) ﴿عمين﴾ أي: عن الحق وعن معرفة الله وقدرته ولطفه، واحسانه يقال رجلٌ عَمٍ بكذا أي: جاهل به لايعرفه.

شـــرح الكلمـات:

وإلى عاد : أي ولقد أرسلنا إلى عاد وهم قبيلة عاد، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

أخاهم هوداً : أخاهم في النسب لا في الدين.وهود هو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام.

أفلا تتقون : أي أتصرّون على الشرك فلاتتّقون عذاب الله بالإيمان به وتوحيده، والاستفهام إنكاري أي ينكر عليهم عدم تقواهم لله عز وجل.

في سفاهة : السفاهة كالسَّفَه وهو خِفّة العقل،وقلّة الإدراك والحلم.

أمـين : لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكْذِبُكم، كما أني مأمون على رسالتي لا أفرط في إبلاغها.

بسـطة : أي طولاً في الأجسام، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها.

آلاء الله : نعمه واحدها أَلىً وإلىً وألْيٌ وإلْوٌ والجمع آلاء

تفلحون : بالنجاة من النار في الآخرة، والهلاك في الدنيا.

معنى الآيات:

هذا هو القصص الثاني،قَصَصُ هود عليه السلام مع قومه عاد الأولى التي أهلكها الله تعالى بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام. قوله تعالى ﴿وإلى عاد[1]﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم من النسب هوداً فماذا قال لهم ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ أي وحدوه في العبادة ولا تعبدوا معه آلهة أخرى. وقوله: ﴿مالكم من إله غيره﴾ أي ليس لكم أي إله غير الله، إذ الله هو الإله الحق وماعداه فآلهة باطلة، لأنه تعالى يخلق وهم لا يخلقون ويرزق وهم لا يرزقون ويدبر الحياة بكل مافيها وهم مدبَّرون لايملكون نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكيف يكونون آلهة. ثم حضهم على التقوى وأنكر عليهم تركهم لها فقال عليه السلام لهم: ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله ربّكم فتتركوا الشرك وتوحدوه؟ فأجاب الملأ الذين كفروا من قومه، بأسوأ إجابة وذلك لكبريائهم واغترارهم فقالوا: ﴿إنا لنراك في

(١) عاد: أمّة عظيمة كانوا أكثر من عشر قبائل، ومنازلهم كانت ببلاد العرب من حضرموت والشّحر إلى عُمان، وعاد اسم القبيلة وصرف لأنّه ثلاثي ساكن الوسط كهند ودعد.

سفاهة﴾ أي حمق وطيش وعدم بصيرة بالحياة وإلا كيف تخرج عن إجماع قومك، وتواجههم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ فيما جئت به أي من الرسالة، ودعوت إليه من التوحيد ونبذ الآلهة غير الله تعالى، فأجاب هود عليه السلام راداً شبهتهم فقال: ﴿ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي أني لست كما تزعمون أن بي سفاهة ولكني أحمل رسالة أبلغكموها، وأنا في ذلك ناصح لكم مريد لكم الخير أمين[1] على وحي الله تعالى إلي، أمين لا أغشكم ولا أخونكم فما أريد لكم إلا الخير. ثم واصل دعوته فقال ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم﴾ أي أكذبتم برسالاتي وعجبتم من مجيئكم ذكر من ربكم ﴿على رجل منكم لينذركم﴾ أي عواقب كفركم وشرككم، أمن مثل هذا يتعجب العقلاء أم أنتم لا تعقلون؟.

ثم ذكرهم بنعم الله تعالى عليهم لعلّها تُحْدِثُ لهم ذكراً في نفوسهم فيتراجعون بعد عنادهم وإصرارهم فقال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء[2] من بعد قوم نوح﴾ أي بعد أن أهلكهم بالطوفان لإصرارهم على الشرك ﴿وزادكم في الخلق بسْطة[3]﴾ أي جعل أجسامكم قوية وقاماتكم طويلة هذه نعم الله عليكم ﴿فاذكروا آلاء[4] الله لعلكم تفلحون﴾ لأنكم إن ذكرتموها بقلوبكم شكرتموها بأقوالكم وأعمالكم، وبذلك يتم الفلاح لكم، وهو نجاتكم من المرهوب وظفركم بالمحبوب وذلك هو الفوز المطلوب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الدعوة إلى عبادة الله وترك عبادة ماسواه وهو معنى لا إله إلا الله.

٢ ـ مشروعية دفع الإتهام، وتبرئة الإنسان نفسه مما يتهم به من الباطل.

٣ ـ من وظائف الرسل عليهم السلام البلاغ لما أمروا بإبلاغه.

---

(١) الأمين: هو الموصوف بالأمانة، والأمانة أعز أوصاف البشر وفي الحديث (لا إيمان لمن لا أمانة له) ويروى: (لمن لا أمان له).

(٢) الخلفاء: جمع خليفة وهو الذي يخلف غيره في شيء أي: يتولى العمل الذي كان يقوم به الأخر، كما يجمع خليفة على خلائف.

(٣) ويجوز بصطة: بالصاد أي طولاً في الأجسام قيل كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، فالزيادة كانت على خلق من قبلهم، وذكر القرطبي أموراً عجباً لا يحسن ذكرها.

(٤) الآلاء: مفرده إلي ويعرف فيقال الإلي وهو: النعمة وهو على وزن عِنَب وأعناب ونظيره إنى أي: الوقت والجمع آناء قال تعالى: ﴿ومن آناء الليل فسبّح﴾ الخ.

٤ ـ فضيلة النصح وخُلُق الأمانة.

٥ ـ استحسان التذكير بالنعم فإن ذلك موجب للشكر والطاعة.

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ
أَتُجَـٰدِلُونَنِى[1] فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات:

ونذر : أي نترك.

بما تعدنا : أي من العذاب.

رجس : سخطٌ موجبٌ للعذاب.

أتجادلونني : أي أتخاصمونني.

من سلطان : أي من حجّة ولا برهان يثبت أنها تستحق العبادة.

دابر : دابر القوم آخرهم، لأنه إذا هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب.

---

(١) ﴿أتجادلونني في أسماء﴾ أي: في الأصنام التي أطلقوا عليها أسماء كاللّات، والعزّى ومناة عند قريش ومشركي العرب، فأطلق الاسم وأريد به المسمّى.

معنى الآيات:

مازال السياق في قصص هود عليه السلام ، فهاهم أولاء يردُّون على دعوة هود بقول الملأ منهم ﴿أجئتنا[1] لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ وتهددنا إن نحن لم نترك عبادة آلهتنا، ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ به من العذاب[2] ﴿إن كنت من الصَّادقين﴾ في دعواك فرد هود عليه السلام على قولهم هذا قائلاً قد وقع[3] عليكم رجس[4] أي سخط وغضب من الله تعالى وأن عذابكم لذلك أصبح متوقعاً في كل يوم فانتظروا ماسَيَحِلُّ بكم ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ قال تعالى ﴿فأنجيناه[5] والذين معه برحمة منّا﴾ أي بعد إنزال العذاب، ومن معه من المؤمنين برحمة منا خاصة لاتتم إلا لمثلهم، ﴿وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين﴾ أهلكناهم بخارقة ريح تدمر كل شيء بأمر بها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، وكذلك جزاء الظالمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ احتجاج المشركين على صحّة باطلهم بفعل آبائهم وأجدادهم يكاد يكون سنّةً مطّردةً في الأمم والشعوب، وهو التقليد المذموم.

٢ ـ من حمق الكافرين استعجالهم بالعذاب، ومطالبتهم به.

٣ ـ آلهة الوثنيين مجرّد أسماء لا حقائق لها إذ إطلاق المرء اسم إله على حجر لا يجعله إلهاً ينفع ويضر، ويحيي ويميت.

٤ ـ قدرة الله تعالى ولطفه تتجلّى في إهلاك عاد وإنجاء هود والمؤمنين.

---

(١) الاستفهام هنا انكاري أنكروا على نبي الله هود دعوته إيّاهم إلى التوحيد وكان جوابهم هذا أقل جفوة من السابق الذي اتهموه فيه بالسفاهة والكذب.

(٢) ذكر العذاب في سورة الأحقاف إذ قال تعالى : ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلاّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

(٣) ﴿قد وقع﴾ بمعنى : وجب، يقال: وقع الحكم أو القول إذا وجب.

(٤) وفسّر الرجس بالعذاب أو الرّين على القلوب بزيادة الكفر.

(٥) روي أنّ هوداً ومن معه من المؤمنين نزحوا إلى مكة وأقاموا بها بعد هلاك قومهم.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات:

وإلى ثمود : أي أرسلنا إلى ثمود، وثمود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود[(١)] بن عابر بن إرم بن سام بن نوح.

أخاهم صالحاً : أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن كماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود.

آيـة : علامة على صدقي في أني رسول الله إليكم.

وبوأكم في الأرض : أنزلكم فيها منازل تحبون فيها.

---

(١) ثمود: هو أخو جديس.

وتنحتون	: تنجرون الحجارة في الجبال لتتخذوا منازل لكم لتسكنوها .
آلاء الله	: نعم الله تعالى وهي كثيرة .
ولا تعثوا	: أي لا تفسدوا في الأرض مفسدين .
استكبروا	: عتوا وطغوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به .

معنى الآيات:

هذا القصص الثالث قصص نبي الله صالح عليه السلام قال تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود[1] أخاهم صالحاً نبياً أرسلناه بما أرسلنا به رسلنا من قبله ومن بعده بكلمة التوحيد ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ وهذا مدلول كلمة الإخلاص التي جاء بها خاتم الأنبياء « لا إله إلا الله » ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ تشهد بأنه لا إله إلا هو، وأني رسوله إليكم ، هذه البينة[2] ناقة تخرج من صخرة في جبل ، ﴿هذه ناقة[3] الله لكم آية﴾ علامة وأية علامة على صدقي في إرسال الله تعالى لي رسولاً إليكم لتعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، فذروا هذه الناقة تأكل في أرض[4] الله ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ ، فكانت الناقة ترعى في المرج،وتأتي إلى ماء القوم فتشربه كله ، ويتحول في بطنها إلى لبن خالص فيَحْلِبون ماشاءوا وقال لهم يوماً هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ، ووعظهم عليه السلام بقوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي بعد هلاكهم،وكانت ديار عاد بحضرموت جنوب الجزيرة العربية وديار ثمود بالحجر شمال الجزيرة بين الحجاز والشام . وقوله ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أرض الحِجْر تتخذون من سهولها قصوراً[5] تسكنونها في الصيف ، وتنحتون من الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء ، ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي نعمه العظيمة لتشكروها بعبادته وحده دون ما اتخذتم من أصنام ، وحذّرهم من عاقبة الفساد فقال ﴿ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين﴾ أي لاتنشروا الفساد في الأرض بالشرك وارتكاب المعاصي وإزاء هذه الدعوة

---

(١) ثمود : يصرف ولا يصرف فمن صرفه : على أنه اسم للحي ، ومن منعه : على أنه علم على القبيلة .

(٢) هذه الناقة هم الذين طالبوا بها لتكون آية على صدق نبوّة صالح ، ولمّا جاءتهم كفروا بها .

(٣) إضافة الناقة إلى الله تعالى للتشريف والتخصيص إذ كل ما في الكون هو لله عزّ وجلّ .

(٤) أي : ليس عليكم رزقها ومؤونتها .

(٥) استدل بعضهم على جواز بناء القصور للسكن بهذه الآية وبحديث : (إنّ الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه) وكره ذلك بعض ، لحديث : (وما أنفق المؤمن من نفقة فإنّ خلفها على الله عزّ وجلّ إلاّ ما كان في بنيان أو معصية) رواه الدارقطني .

الصادقة الهادفة إلى هداية القوم وإصلاحهم لينجوا من عاقبة الشرك والشر والفساد ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي قوم صالح، قالوا ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾[1] أي لمن آمن من ضعفاء القوم: ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من ربه﴾، وهو استفهام سخرية واستهزاء دال على صلف القوم وكبريائهم، فأجاب المؤمنون من ضعفة القوم قائلين ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ قالوها واضحةً صريحةً مُعْلنةً عن إيمانهم بما جاء به رسول الله صالح غير خائفين، وهنا ردّ المستكبرون قائلين: ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ وإمعاناً منهم في الجحود والتكبّر، لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون حتى لا يعترفوا بالرسالة ولو في جواب رد الكلام فقالوا ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ اتحاد دعوة الرسل في الإيمان بالله والكفر بالطاغوت أي في عبادة الله وحده.

٢ ـ تقرير إرسال الرسل بالآيات وهي المعجزات وآية صالح أعجب آية وهي الناقة.

٣ ـ وجوب التذكير بنعم الله إذ هو الباعث على الشكر، والشكر هو الطاعة.

٤ ـ النهي عن الفساد في الأرض والشرك وارتكاب المعاصي.

٥ ـ الضعفة هم غالباً أتباع الأنبياء: وذلك لخلوهم من الموانع كالمحافظة على المنصب أو الجاه أو المال، وعدم إنغماسهم في الملاذ والشهوات.

فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

(١) ﴿لمن آمن﴾ بدل من (الذين استضعفوا) بدل بعض من كلّ.

شـرح الكلمات:

فعقروا الناقة: نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها، والناقة هي الآية.

وعتوا عن أمر ربهم: تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا.

الرجفة: المرة من رجف إذا اضطرب، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم الرجفة.

جاثمين[1]: باركين على الركب كما يجثم الطير أي هلكى على ركبهم.

فتولى عنهم: بعد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال راثياً لحالهم ﴿ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي﴾ إلى قوله ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ ثم أعرض عنهم وانصرف.

معنى الآيات:

مازال السياق في قصص صالح عليه السلام فإنه بعد تلك الدعوة الطويلة العريضة والمستكبرون يردونها بصلف وكبرياء، وطالبوا بالآية لتدل على صدقه وأنه من المرسلين وأوتوا الناقة آية مبصرة ولجوا في الجدال والعناد وأخيراً تمالؤوا على قتل الناقة وعقروها ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾.

قوله تعالى في الآية الأولى (٧٧) ﴿فعقروا[2] الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ يخبر تعالى أن قوم صالح عقروا الناقة قطعوا أرجلها ثم نحروها وهو العقر، وعتوا بذلك وتكبروا متمردين عن أمر الله تعالى حيث أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ولا يمسوها بسوء فإذا بهم يعقرونها تحدياً وعناداً، ﴿وقالوا ياصالح﴾ بدل أن يقولوا يارسول الله أو يانبي الله ﴿ائتنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب إن مسسنا الناقة بسوء فقد نحرناها فأتنا بالعذاب إن كنت كما تزعم من المرسلين قال تعالى ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهي هزة عنيفة اضطربت لها القلوب والنفوس نتيجة صيحة لملك عظيم صاح فيهم صباح السبت[3] كما قال تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة

(١) أصل الجثوم للأرانب وما شابهها وموضع الجثوم يقال لهم: مجثم. قال زهير:
بها العين والأرام يمشين خلفه   وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

(٢) العقر: الجرح أو قطع عضو يؤثر في النفس، يقال: عقر الفرس إذا ضرب قوائمه بالسيف، وقيل للنحر عقر: لأنه بسبب النحر غالبا.

(٣) هو بداية اليوم الرابع، إذ قال لهم: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ فكانت الأربعاء والخميس والجمعة والسبت أهلكهم الله تعالى.

مشرقين﴾ ولما هلكوا وقف عليهم صالح كالمودع كما وقف رسول الله ﷺ على أهل القليب ببدرٍ فناداهم يافلان يافلان كذلك صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقف عليهم وهم خامدون وقال كالرائي المتحسر ﴿ياقوم لقد أبلغتكم[1] رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ وتولى عنهم وانصرف.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حلول نقمة الله تعالى بكل من عتا عن أمره سبحانه وتعالى.

٢ ـ مشروعية الرثاء لمن مات أو أصيب بمصاب عظيم.

٣ ـ علامة قرب ساعة الهلاك إذا أصبح الناس يكرهون النصح ولا يحبون الناصحين.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

شـرح الكلمـات:

ولوطاً : أي وأرسلنا لوطاً ولوط هو لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام. ولد في بابل العراق.

الفاحشة : هي الخصلة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم.

(١) من الجائز أن يكون قد قال هذا وهم أحياء قبل موتهم كالآيس منهم وكونه قاله بعد موتهم أقرب كما في التفسير.

من العالمين : أي من الناس.
من الغابرين : الباقين في العذاب.
وأمطرنا : أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم.
المجرمين : أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض.

معنى الآيات:

هذا هو القصص الرابع قصص نبي الله تعالى لوط بن هاران ابن أخي ابراهيم عليه السلام فقوله تعالى ﴿ ولوطاً[1] . . . . ﴾ أي وأرسلنا لوطاً إلى قومه من أهل سذوم، ولم يكن لوط منهم لأنه من أرض بابل العراق هاجر مع عمه إبراهيم وأرسله الله تعالى إلى أهل سذوم[2] وعمورة قرب[3] بحيرة لُوطٍ بالأردن.

وقوله إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم منكراً عليهم فعلتهم المنكرة: ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ وهي اتيان الرجال في أدبارهم ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ أي لم يسبقكم إليها أحد من الناس قاطبة، وواصل إنكاره هذا المنكر موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم فقال: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة[4] من دون النساء، بل أنتم قوم مسرفون﴾ وإلا فالشهوة من النساء هي المفطور عليها الإنسان، لا أدبار الرجال، ولكنه الإجرام والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك، والإسراف صاحبه لا يقف عند حد.

وبعد هذا الوعظ والإرشاد إلى سبيل النجاة، والخروج من هذه الورطة التي وقع فيها هؤلاء القوم المسرفون ماكان ردهم ﴿إلا أن قالوا أخرجوهم ﴾ أي لوطاً والمؤمنين معه ﴿من قريتكم ﴾ أي مدينتكم سدوم، معللين الأمر بإخراجهم من البلاد بأنهم أناس يتطهرون من الخبث الذي هم منغمسون فيه قال تعالى بعد أن بلغ الوضع هذا الحد ﴿فأنجيناه وأهله﴾ من بناته وبعض نسائه ﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ حيث أمرهم بالخروج من

---

(١) هذا العطف على إرسال نوح كما هو مع هود وصالح من قبل لوط، ولوط: اسم عجمي وليس مشتقاً من لعلت الحوض أو من قولهم: هذا أليط بقلبي من هذا.
(٢) هذه الأرض هي أرض الكنعانيين وسكانها خليط جلّهم كنعانيون.
(٣) هو المعروف بالبحر الميت ويقال له بحيرة لوط.
(٤) ﴿شهوة﴾ منصوب على أنّه مفعول لأجله.

البلاد ليلاً قبل حلول العذاب بالقوم فخرجوا، وما إن غادروا المنطقة حتى جعل الله تعالى عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجين فأهلكوا أجمعين.

وقوله تعالى في ختام هذا القصص ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ فإنه خطاب عام لكل من يسمع هذا القصص ليعتبر به حيث شاهد عاقبة المجرمين دماراً كاملاً وعذاباً أليمًا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ شدة قبح جريمة اللواط.

٢ ـ أول من عرف هذه الجريمة القذرة هم قوم لوط[(١)] عليه السلام.

٣ ـ الإسراف وعدم الاعتدال في الأقوال والأفعال يتولد عنه كل شر وفساد.

٤ ـ الكفر والإجرام يحل رابطة الأخوة والقرابة بين أصحابه والبُرءاء منه.

٥ ـ من أتى هذه الفاحشة من المحصنين يرجم[(٢)] بالحجارة حتى الموت.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ

(١) روي أنّ ابليس هو الذي علّمهم إيّاها في نفسه بعد أن تشكّل بشكل إنسان.

(٢) الجمهور على أن من أتى هذه الفاحشة من الذكران البالغين أنه يقتل وغير البالغ يضرب، وخالف أبو حنيفة الجمهور وقال بعدم القتل واكتفى بالتعزير وهو محجوج بعمل الصحابة فقد أحرقوا مَنْ عَمِل عَمَل قوم لوط على عهد أبي بكر بإجماع رأي الصحابة على ذلك لحديث أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي أي رسول الله ﷺ قال: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وعند الترمذي: (أحصنا أو لم يحصنا) واختلف في الفاعل في البهيمة هل يقتل أو يعزّر؟ فالراجح: القتل لحديث: (من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه).

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

شـرح الكلمـات:

وإلى مدين آخاهم شعيباً : مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين.

ولا تبخسوا الناس أشياءهم : أي لا تنقصوا الناس قيم سلعهم وبضائعهم، إذ كانوا يفعلون ذلك.

صراط توعدون :طريق وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم.

وتبغونها عوجاً : أي تريدون سبيل الله ـ وهي شريعته ـ معوجةً حتى توافق ميولكم.

المفسدين : هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد.

يحكم بيننا : يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين.

معنى الآيات:

هذا هو القصص الخامس في سورة الأعراف وهو قصص نبي الله شعيب مع قومه أهل مدين، فقولـه تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً[1]﴾ أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيباً. فماذا قال لهم لما أرسل إليهم؟ ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ أي قولوا لا إله إلا الله، ولازم ذلك أن يصدقوا برسول الله شعيب حتى يمكنهم أن يعبدوا الله بما

---

(١) شعيب: تصغير شعب أو شِعب ويقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه.

يجب أن يعبد به وبها من شأنه أن يكملهم ويسعدهم في الدارين وقوله ﴿قد جاءتكم[1] بينة من ربكم﴾ أي آية واضحة تشهد لي بالرسالة وبها أن ما آمركم به وأنهاكم عنه هو من عند الله تعالى إذاً ﴿فأوفوا الكيل والميزان ﴾ أي بالقسط الذي هو العدل، ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ بل أعـطوهم ماتستحقـه بضائعهم من الثمن بحسب جودتها ورداءتها ﴿ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ أي في البلاد بعد إصلاحها، وذلك بترك الشرك والذنوب ومن ذلك ترك التلصص وقطع الطرق، وترك التطفيف في الكيل والوزن وعدم بخس سلع الناس وبضائعهم ذلكم الذي دعوتكم إليه من الطاعة وترك المعصية خير لكم حالاً ومآلاً إن كنتم مؤمنين وقوله : ﴿ولا تقعدوا بكل صراط[2] توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً[3]﴾ ينهاهم عليه السلام عن أبشع الإجرام وهو أنهم يجلسون في مداخل البلاد، وعلى أفواه السكك، ويتوعدون[4] المارة بالعذاب إن هم اتصلوا بالنبي شعيب وجلسوا إليه صرفاً للناس عن الإيمان والاستقامة، كما أنهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس ثيابهم وأمتعتهم أو يدفعون إليهم ضريبة خاصة.

وقوله ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ يذكرهم عليه السلام بنعمة الله تعالى عليهم وهي أنهم أصبحوا شعباً كبيراً بعدما كانوا شعباً صغيراً لا قيمة له ولا وزن بين الشعوب وقوله: ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ يعظهم ببيان مصير الظلمة المفسدين من الأمم المجاورة والشعوب حيث حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فهلكوا يعظهم لعلهم يذكرون فيتركوا الشرك والمعاصي، ويعملوا بالتوحيد والطاعة.

وأخيراً يخوفهم بالله تعالى ويهددهم بأن حكمًا عدلاً هو الله سيحكم بينهم وعندها يعلمون من هو المحق ومن هو المبطل فقال: ﴿وإن كان طائفة منكم﴾ أي جماعة ﴿آمنوا بالذي أرسلت به﴾ من التوحيد والطاعة وترك الشرك والمعاصي، ﴿وطائفة﴾ أخرى ﴿لم يؤمنوا﴾ وبهذا كنا متخاصمين نحتاج إلى من يحكم بيننا إذاً ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير

---

(١) من الجائز أن يكون الله تعالى قد أعطى نبيّه شعيباً آية ولم تذكر في القرآن، والراجح أنّها حجة قوية قهرهم بها ولم يتمكنوا من ردّها.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعّدون من أراد المجيء إليه ويصدّونه عنه ويقولون: إنّه كذّاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ.

(٣) قال أبو عبيدة والزجاج: كسر العين عوجاً في المعاني، والفتح عَوَجاً في الاجرام والذوات.

(٤) قال أبو هريرة رضي الله عنه هذا نهي عن قطع الطريق وأخذ السلب وكان ذلك من فعلهم.